مُسَامَرَةُ الأَصْحَابِ

فِي

مُؤانَسَةِ الأَحْبَابِ

تأليف

عبد المحسن بن عثمان ابا بطين

عفا الله عنه

الناشر

مكتبة الرياض الحديثة بالرياض

مسامرة الأصحاب في مؤانسة الأحباب

تأليف

عبد المحسن بن عثمان ابا بطين
عفا الله عنه

الناشر
مكتبة الرياض الحديثة
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

هو الشيخ عبد المحسن بن عثمان بن عبد الكريم بن عثمان بن عبد الكريم بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله ابا بطين بن سلطان بن خميس العائذي من ال الصقير من عَبِيدَة من قحطان .

مولده

ولد في قرية الحصون من بلدان سدير عام ١٣٣٧ هـ ولما بلغ السنة العاشرة من عمره سافر باحثاً عن العيش وقد اقفلت في وجهه جميع الطرق لولا لطف الله ولما يئس سافر مرة اخرى من سدير إلى الرياض عاصمة المملكة وقرأ مبادىء القراءة والقرآن العظيم على الشيخ علي شاكر والشيخ محمد بن سنان وقرأ الاصول الثلاثة وكتاب التوحيد وكشف الشبهات ومبادىء اللغة على مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله . وقرأ مبادىء اللغة والفرائض على الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله وقرأ عمدة الفقه والاربعين النووية واول بلوغ المرام على الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمه الله وقرأ الاصول الثلاثة وكتاب التوحيد على الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ رحمه الله كما قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف والشيخ عمر بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمهما الله الاصول الثلاثة والاربعين النووية والعقيدة الواسطية وحضر مجالس الشيخ عبد الله بن حميد والشيخ عبد العزيز بن باز لما كانا يدرسان في مسجد الشيخ محمد بن ابراهيم .

٢ ــ وظائفه :

١ ــ فتح مكتبه تجارية سماها المكتبة الاهلية عام ١٣٦٤ واستمرت حتى عام ١٣٨٣ هـ ثم قفلها .

٣ ــ عين مديراً لدار الايتام في عام ١٣٦٢ هـ ثم ترك العمل وبعد سنوات عين مدرساً بالمدرسة العزيزية بالرياض ثم مديراً لمدرسة روضة سدير في عام ١٣٦٩ هـ ثم نقل لادارة مدرسة سدوس في عام ١٣٧٤ هـ ثم مديراً لمدرسة

الحلل بالرياض في عام ١٣٧٥ هـ ثم مفتشاً بوزارة المعارف عام ١٣٧٧ هـ ولا زال على رأس العمل.

٣ ـ مؤلفاته:

التطفلات الادبية قرر مطالعة في المدارس عام ٦٥ و ١٣٦٦ هـ ـ أخلاق التلميذ ـ نظرات في الشريعة الاسلامية ـ ثمن الكفاح (قصة حياته (في سبيل الكفاح ـ حاشية على الاربعين النووية طبعت عدة طبعات ـ هدية الواعظين وتذكرة السامعين (في الوعظ) عقد الجمان في وظائف رمضان ـ المجموعة البهية في الاشعار النبطية طبعت عدة طبعات الاناشيد المدرسية ـ الحديث للصف السادس والخامس نالا جائزة المعارف ومسامرة الاصحاب ومؤانسة الاحباب هذه نبذة من ترجمة المؤلف رحمه الله ووفقه للعمل الصالح انه على كل شيء قدير وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله النبي الامي وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وبعد :

فهذه حكايات ومسامرات ظريفة جمعت اشتاتها من بطون الكتب واخترتها من حكايات ومسامرات وقعت في ازمنة مختلفة قديمة وحديثة وفكاهات ظريفة وقعت من اشخاص مع ملوك وامراء وخلفاء ووزراء وما جرى مع ابطال هذه الحكايات من مزاح وكرم ووفاء .

ولقد سلكت في هذا الكتاب طريقة قد استحسنتها وقد لا يوافقني فيها احد وهي عدم التقيد بقدم الحكاية والنكتة من حداثتها ولم انظر لقيمتها الادبية وانما لوقعها في النفوس وقد تختلف الاراء وتتباين الافكار وسميته (الكلام الجذاب في مؤانسة الاحباب) راجياً أن ينال رضى من قرأه او سمعه وان يدرأ بالحسنة السيئة ويغضي عن الخلل والزلل وان يدعو لمؤلفه بالتوفيق والسداد وفق الله الجميع لما فيه الخير وصلى الله على خير خلقه محمد بن عبد الله واله وصحبه وسلم .

المؤلف

الملك عبد العزيز ومستجيره

لقد كان رشيد عالي الكيلاني رئيس الحكومة العراقية قد حكم عليه بالاعدام من قبل الحكومة العراقية بايعاز من الانكليز حيث تكون العراق مستعمرة تحت ضغوط من حكومة انكلترا وقد ضاقت على الكيلاني الارض والفضاء وليس له سوى المغامرة الانتحارية وفكر وقدر واختار ان يستجير بملك عربي اصيل يقدر لكل شيء قدره وحاول ان يصل إلى الملك عبد العزيز دون ان يشعر الملك به ودون ان يعرف اسمه حتى قابله ولاذ به في داخل قصره وهكذا التقى الكيلاني بالملك عبد العزيز بصورة لم يشعر بها حتى فاجأه قائلا انه رشيد عالي الكيلاني لذلك دهش الملك عبد العزيز وظل في شك من صحة الخبر فظن ان الرجل مدع ودعا الملك بحضور السيد حمزة غوث الذي كان يعرف الكيلاني جيداً حيث كان قنصلا للمملكة العربية السعودية في بغداد وبعد ان تأكد الملك عبد العزيز من صحة الخبر لشخصية الكيلاني ابرق لسفير بريطانيا المفوض في جده بان يحضر لمقابلته فوراً وعندما حضر السفير أمره بان يبلغ حكومته بان رشيد عالي الكيلاني قد وصل إلى المملكة وانه سيعتبر عربياً مستجيراً بعربي وانه سوف يجيره ولن يسلمه مهما كانت النتيجة وفقاً للشيم العربية وكانت الحكومة الانجليزية تعرف جيداً ان أي عربي يغار على كرامته لا يمكن ان يسلم من يستجير به مهما كانت التحديات ولذلك كان جواب حكومة بريطانيا حكيماً حيث قالت ان الكيلاني مطالب من قبل حكومة العراق لا من قبلنا وعند ذلك اتصل الملك عبد العزيز رحمه الله بحكومة العراق بنفس الطريقة التي تفاهم بها مع بريطانيا الا ان حكومة العراق الخاضعة للنفوذ البريطاني وقتذاك تجاهلت العادات والشيم العربية الاصيلة التي هي اعز جانباً من المعاهدات السياسية في نفسية الملك عبد العزيز وموقفه موقف من تفرض عليه الشيم وعرف المجتمع وبعد مطالبة العراق بالكيلاني والحاح المطالبة علم ابناء الملك عبد العزيز ان المطالبة باعادة المستجير بوالدهم ذهبوا إلى والدهم الملك عبد الغزيز واكد كل فرد منهم بانه على اتم الاستعداد لتسليم نفسه لحكومة العراق وهو مطمئن دون

أن يسلم المستجير بجاهم واللائذ بجوارهم وكأني بالملك عبد العزيز رحمه الله يتمثل بهذين البيتين من الشعر : —

وضيف مليك العرب أمنـع حـوزة
من الليث في البيـد الذي ليس يقرع

وبعض ملوك النـاس يغـدر ضيفـه
ويلقى باحضـان الطغـاة ويصـرع

قصة سابور وتنكره

لما عزم سابور بن هرمز على الدخول إلى بلاد الروم متنكراً نهاه نصحاؤه وعقلاء وزارته وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال اوزر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيان من المسائخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيراً كان له ولابيه من قبله وكان من ادهى الناس في الحزم وسداد الرأي واختلاف الاديان ولغاتها وكان من المتبحرين في العلوم والمبرزين بالمكائد فسلم اليه في سفره وامر أن لا يتجاوزه في السير ولا يبعد عنه بحيث يراعي جميع احواله في ليله ونهاره فتوجها نحو الشام ولبس ذلك الوزير زي الرهبان وتكلم بلسانهم وتحرف بصناعة الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراحات برئت بسرعة واندملت فكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم يداوي الجراحات بادوية يضيف اليها يسيراً من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة واذا عني باحد من ذوي الاقدار داواه بذلك الدهن صرفاً فيبرأ على الفور ولا يأخذ على ذلك اجراً فانتشر ذكره في بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر واقبل عليه الناس وكان مع انفراده مع سابور يراعي جميع احواله فلم يزالا كذلك حتى طافا جميع الشام وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير إلى البطريرك وتفسير هذا الاسم ابو الاباء واستأذن عليه فاذن له وسأله عن قصده فأخبره أنه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل في أتباعه ثم أهدى اليه هدية نفيسة حسن بوقعها من البطريرك فقربه وأكرمه وأحسن نزله والحقه ببطانته واختبره فوجده عالماً بدينهم بل مبرزاً فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل احوال البطريرك ليصحبه بما يلائمه وينفق عنده فوجده ماثلا إلى الفكاهة معجباً بنوادر الاخبار

وكان الوزير في ذلك غاية في البراعة فاخذ يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطريرك لم يطق عن الوزير صبراً لانه حلا لعينه وحل بقلبه وجعل الوزير يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضاً فعظم قدره في الناس هذا وهو يتعاهد احوال سابور في كل وقت إلى ان صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فاراد سابور حضورها ليطلع على احوال قيصر وعلى رتبته في قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وتزيا بزي ظن انه يتستّر به ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احترّاسه من سابور وخيفته من أن يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة صور سابور في مجلسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفي الات أكله وشربه ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر في مجلسه واكل مع من أكل اتو بالشراب في كؤوس البلور والذهب والفضه والزجاج وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاقنتهم فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد في تأمله وصل اليه دور الكأس فتأمل الصورة التي على الكأس وراجع النظر في سابور فما شك أن الصورة التي على الكأس وضعت على مثاله وغلب على ظنه أنه سابور فامسك الكأس في يده إمساكاً طويلا ثم قال رافعاً صوته إن هذه الصورة التي على الكأس تخبرني اخباراً عجيبا فقيل له وما الذي تخبرك فقال تخبرني ان الذي هي مثاله معنا في مجلسنا هذا ثم نظر إلى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فادناه وقربه وسأله فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه فأمر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل لم تقبل فقال ذلك المتفرس ايها الملك لا تقبل قوله فانه سابور لا محالة فهدده قيصر بالقتل فاعترف أنه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر ان يعمل له من جلود البقر صورة بقرة وتطبق عليها الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب وتجعل لها كوة لأجل المبال ويستقر سابور فيها وتجمع يداه إلى عنقه بجامعه من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول ما يعمل من طعام وشراب وغير ذلك فلما أدخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل صورة البقرة مائة رجل من ذوي البأس والشدة يحملونها وصرف أمره إلى المطران وهو خليفة البطريرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة

التي فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب فارس ولما جد السير قال وزير سابور للبطريرك أيها الاب انما استفدت بخدمتك الرغبة في مصالح الاعمال ولا عمل اصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر منفعه إلى مضطر وقد علمت اجتهادي في مداواة الجرحى وان نفسي تنازعني إلى صحبة الملك قيصر في سفره هذا لاغير فلعل الله تعالى يستنقذ بي نفساً صالحة او يسوقني إلى مداواة جريح من العسكر ليسعد قلبي واحصل على مثوبة من الله فكره البطريرك ذلك وقال له قد علمت أنني لا أستطيع فراقك فكيف تطالبني بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع إلى البطريرك إلى ان استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه إلى المطران يخبره برتبته عنده وانه يحله في أعلى المراتب ويستضيء برأيه اذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزله في قبته وجعل زمام أمره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه ويطرفه في كل ليلة بطرف الاخبار رافعاً بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس في أحاديثه ما يريد ان يعلمه به ويبطنه من الاسرار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وكان الوزير قد أعد لخلاص سابور انواعاً من المكائد رتبها عندما قدم على المطران منها أنه امتنع عن مؤاكلة المطران واخبره أنه لا يخلط بطعام البطرك غيره لاجل بركته فكان اذا حضر طعام المطران أخرج هو ذلك الزاد الذي معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر سائراً بجنوده حتى بلغ ارض فارس فأكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الاشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولي على دار ملك سابور قبل ان يشعروا فيملكوا عليهم رجلا منهم ولم يكن للفرس هم إلا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه فأحاط بها ونصب عليها الات الحصار ولم يكن عنده قوة ولا منعة في دفع أكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من كنايات الوزير في محاضراته للمطران ولكن لم يسمع له كلمة من حين سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم سابور أن قيصر قد ثقلت وطأته واشرف على فتح البلد عيل صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاء الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا ضعفت قوتي

عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا علي منها واجعلوا بينها وبين يدي وعنقي خرقاً من الحرير فجاء الموكل بالطعام إلى المطران واعلمه بالذي قاله سابور فسمعه الوزير وعلم أن سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما اراد سابور فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثاً عجبا ما ذكرته منذ كذ وكذا وددت أنني كنت حدثت به البطرك قبل سفري فقال له المطران إني ارغب اليك أن تحدثني الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير حباً وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعاً صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض فيستأنس فقال إعلم أيها المطران أنه كان ببلادنا فتى وفتاة ليس في زمانها أحسن منهما إسم الفتى عين أهله واسم الفتاة سيدة الناس وكانا زوجين مؤتلفين لا يبتغي أحدهما بالآخر بديلا ثم إن عين أهله جلس يوماً مع أصحابه فتذاكروا النساء إلى انه ذكر احدهم إمرأة أطنب في وصفها وبالغ في ذكرها أسماها سيدة الذهب فوقع في قلب عين أهله حبها فسأل الواصف عن منزلها فذكر أنها ببلدة بالقرب من بلده ففكر عين أهله في أمرها وخامره حبها فانطلق إلى البلد التي هي ساكنة بها وسأل عن منزلها فعرفه ولم يزل يتردد إلى بابها حتى رآها فرأى منظراً حسناً ولكن لم تكن باحسن من إمرأته بل ضرورات النفس حب التنقل في الاحوال ولازم عين أهله المعاودة إلى منزلها حتى فطن له بعلها وكان جافياً غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه إلى داخل دار الذئب وربطوه إلى سارية في الدار ووكل به عجوز مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن عليه الليل اوقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلي فذكر عين اهله ما كان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاءاً شديداً فاقبلت عليه العجوز وقالت له ما ذنبك الذي أوجب هذا فقال عين أهله ما علمت لي ذنباً فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين اهله للعجوز وما الذي كذب فيه الفرس عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا ان فرساً كان لاحد الشجعان فكان يبالغ في اكرامه ويحسن اليه ويعده لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في صحبته كل يوم فيزيل لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى في كل مرج مخصب حتى يرتفع النهار

ثم يرده وهو على يده ثم إنه خرج يوماً إلى المرج راكباً ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس وجمع ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس إلى أهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم عليه الليل جاع وطلب ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ فمنعه السرج ورام ان يضطجع فمنعه الركاب فبات بشر فلما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه إلى جهته الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد ما اتقن في دبغه فلما خرج أصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم موضع اللبب والحزم واشتد به الضرر وقوى به الجوع ومضت عليه أيام فتزايد ضعفه وعجز عن المشي فمر به خنزير فهم بقتله فرآه ضعيفاً جداً فسأله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وسأله ان ان يصنع معه معروفاً ويخلصه مما هو فيه فسأله الخنزير عن الذنب الذي اوقعه في تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت خلصتك مما أنت فيه ومن جهل ذنوبه واصر عليها لم يرج فلاحه فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس واخبره بجميع أمره وكيف كان عند فارسه مكرماً وكيف فارقه وما لقي في طريقه إلى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قاتلك الله لقد كفرت النعم واكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك الذي بالغ في الاحسان اليك واعدك لمهماته ومنها كفرك احسانه ومنها تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام ومنها اساءتك لنفسك بتعاطيك التوحش الذي لست من أهله ولا لك عليه مقدرة ومنها اصرارك على ذنبك وكنت قادراً على العودة إلى فارسك قبل ان يوهنك اللجام والجوع والحزام واللبب بالالم فقال الفرس للخنزير قد عرفت ذنبي فانطلق عني ودعني فاني استحق أضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير بعد ان عرفت وعدت على نفسك باللوم واخترت لها العقوبة على جهلها تعين الشروع في خلاصك ثم إن الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس قال فلما سمع عين أهله ما خاطبته به العجوز قال لها صدقت فيما نطقت قد أدبتني فتأدبت ثم أعلمها بخبره ثم رغبها في ان تمن عليه بالخلاص كما فعل الخنزير بالفرس فقالت العجوز الذي سألتني لا يمكنني فعله الان ولعلي أجد لك فرجاً ومخرجاً عن قريب فعليك

بالصبر وأمسكت العجوز عن مخاطبته قال فلما انتهى الوزير في حديثه إلى هذه الغاية أقبل على المطران وقال إني احس في اعضائي فتوراً وفي رأسي صداعاً ولم أقدر الليلة على إتمام الحديث ولعلي أكون الليلة القابلة نشيطاً إلى ذلك فنهض إلى مضجعه فجعل سابور يتأمل الامثال التي ضربها له ودسها في المسامرة ففهم أن الوزير كنى عن سابور بعين أهله وكنى عن مملكته بسيدة الناس وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب الذي ذكر أنه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور إلى مملكة الروم بطموح نفس عين أهله إلى رؤية سيدة الذهب وكنى عن أخذ قيصر له بقبض الذئب على عين أهله وكنى عن نفسه وحاله وعجزه بالعجوز القطعاء وعرفه أنه لا يمكنه تخليص سابور في هذا الوقت كما قررت العجوز لعين أهله وانه ساع في خلاصه فاستروح سابور ريح الفرج فسفنت نفسه ووثق بوزيره فلما كانت الليلة القابلة وتعشى المطران وأخذ مقعده للمسامرة قال للوزير ايها الحكيم الراهب أخبرني عما كان من أمر عين أهله وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا فقال الوزير سمعاً وطاعة فشرع في حديثه وقال إن عين أهله أقام على حالته عدة أيام وكل يوم يدخل عليه الذئب ويهدده بالقتل ويزيده قيدا ثم إن العجوز جاءته في بعض الليالي واضرمت لها ناراً بالقرب منه وجلست تصطلي ثم أقبلت على عين أهله وقالت له ساعدني على خلاصك بالصبر فقال لها عين أهله وهان على الطليق ما لقى الاسير فقالت العجوز حداثة سنك قصرت فهمك عن ادراك الحقائق أفتسمع حديثاً لك فيه سلوى قال نعم فقالت العجوز ذكروا ان بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفاً به فاتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبي بذلك الخشف الصغير فكان لا يفارقه وجعلوا في جيده حلياً نفيساً وربطوا له شاة ترضعه حتى اشتد ونجم قرناه فاعجبه بريقهما وسوادهما وقال ما هذا الذي ظهر في رأس الخشف قالوا قرناه وقالوا له إنهما سيكبران ويطولان فقال الغلام لابيه إني احب ان ارى غزالاً كبيراً له قرنان كاملان فأمر ابوه بعض الصيادين ان يصيد له غزالاً كبيراً فاحضر له غزالاً قد استكمل قوته ونموه فاعجب الغلام وحلى جيده ايضاً فتأنس الغزال الكبير بالخشف الصغير للمجانسه الطبيعية فقال للخشف إن لشكلك كثير فقال الخشف واين هي فاخبره الغزال بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض وتناسلها فارتاح الخشف لذلك وتمنى ان يراها

فقال له الغزال هذه أمنية لا خير لك فيها لانك نشأت في رفاهية من العيش ولو تحصلت على ما تمنيت لندمت فقال الخشف للغزال لا بد من اللحاق باشكالي فلما رأى الغزال ان الخشف غير راجع لم يجد بدا من قضاء اربه لحرمة الالفة فرصدا وقتا قابلا وخرجا معاً حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الخشف فرح ومرح ومر يعدو لا يلتفت إلى ما ورائه فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فانتظر ان يأتيه الغزال فيخلصه فلم يأته وأما ولد التاجر فانه تنكد لفقد الخشف والغزال واشفق ابوه فاستدعى كل من يعاني الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال ووعدهم بالمكافأة على ذلك وركب التاجر معهم وفرق اتباعه على ابواب المدينة ينتظرون من يأتي من الصيادين وانطلق هو وعبيده حتى دخلوا الصحراء فرأوا على بعد رجلا منكباً على شيء بين يديه فاسرعوا نحوه فرأو صياداً قد اوثق غزالا كبيراً وقد عزم على ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذي لولده فخلصه من الصياد وامر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلي الذي كان على الغزال فسأله كيف ظفر به وأين وجده فقال اني بت في هذه الصحراء ونصبت شركاً ومكثت قريباً منه فلما اصبحت مر علي الغزال ومعه خشف يعدو ويمرح في جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الغزال يمشي حتى حصل فيه فقنصته وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي أني مخطىء في ادخال هذا الظبي إلى المدينة حياً لعلمي أنه اذا رؤي حياً طولبت بما كان عليه من الحلي فرأيت أن اذبحه وادخل به لحماً فهذا خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك طمعك الخيبة فماذا عليك لو أطلقته وخلصت ما كان عليه من الحلي ثم ان التاجر ارسل الغزال إلى ولده مع احد عبيده وقال للصياد ارجع معي فارني الجهة التي رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به إلى تلك الجهة فسمع من قريب صوته فصاح به التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فادركه فاذا هو في ذلك الاخدود ملقى فاخذه ووهب التاجر للصياد ما رضي به وصرفه ورجع التاجر إلى ولده فكملت مسرته لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف نائم في كناسه اذ دخل عليه الغزال فايقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف أما أنت الذي عددت وقد علمت احتياجي في غربتي إلى معاونتك فقال له والله ما اخرني عن ذلك الا وقوعي في شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره

وعادا إلى الالفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب العجوز فهم كنايتها عن عجزها في تخليصه أمسك عن خطابها.

قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه إلى هذا سكت فقال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا السكوت فقال الوزير قد عاودني ذلك الفتور الذي اجده في أعضائي فقال المطران لا تفعل فإن ذلك يشق علي فقال الوزير نعم أفعل ذلك طلباً لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وبات عن اهله تلك الليلة في أضيق الاحوال ولما اصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر ان تجلس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل فأيقن بقتله في تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل ثم قال للعجوز لم احظ في هذه الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبي لقولك لي هان علي الطليق ما لقى الاسير لو اعتبرت باطن حالي لعلمت أن اسري أشد من اسرك فاستمع لي أحدثك واعلم أيها الفتى أني كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لي محباً فكنت معه في ارغد عيش وولدت له اولاد كثيرة فغضب الملك على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل اولادي الذكور وباعني أنا وبناتي فاشتراني هذا الفارس الذي عدى عليك واحتملني إلى هذه البلدة واساء الي وكلفني من العمل ما لا أطيق ولي معه على هذه الحاله سبع سنين ثم فررت منه فظفر بي فقطع يدي وعاود عسفي ومضرتي وقد عزمت على تخليصك الليلة وما اشك أنه يقتلني وجل قصدي ذلك لاجل الراحة مما انا فيه ولاجل ذلك أنا اكثر الدخول والخروج اليك وانا في غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم إنها فتحت قيود عين اهله وقطعت وثاقه وتناولت سكيناً لتقتل نفسها فقال لها عين اهله وان تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك في دمك وانتزع السكين من يدها وقال قومي اذهبي معي لكي ننجو معاً او نعطب معاً فقالت ان كبر سني وضعف بصري يمنعاني من اتباعك فقال لها عين أهله إن الليل متسع والموضع الذي انا فيه قريب ولي قوة على حملك فقالت له العجوز اذا عزمت على هذا فاني لا احوجك إلى حملي وخرجا معاً فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث امنا فجزاها عين أهله خيراً على ما صنعت واتخذها أماً فهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب أحاديثك ايها الحكيم ولقد وددت أني

لا افارقك ابداً ونهض كل واحد منهما إلى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل أمثاله ففهم أن الحشف مع الغزال مثل لسابور ووزيره وان خروج الحشف مع الغزال إلى الصحراء وحصول الحشف في الاخدود مثل لصحبة سابور بوزيره ه لتأخره عن استنقاذه وتحقق ان الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به إلى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وان يحمله ان عجز عن المشي فأيقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ بها الطعام للمطران وبها الموكلون بقبة سابور نائمون ينتظرون الطعام فتحيل إلى ان القى في الطعام مرقداً قوى الفعل ولما حضر طعام المطران إنفرد الوزير باكل زاده على ما جرت به العادة فلم تكن الا ساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير إلى فتح باب البقرة واستخرج سيده وازال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا إلى سورها فانتهرهما وصرخ بهما الموكلون فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض اصواتهم واعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدروهما وادخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وامرهم سابور بالاجتماع وفرق اليهم السلاح وامرهم ان يأخذوا أهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الأول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثاني يحملون باجمعهم فامتثلوا أمره ثم ان سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان اساررته ووقف معهم مما يلي الجهة التي فيها أخبية قيصر . فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا من كل جهة وقصدوا أخبية قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسد ابوابهم فما شعروا حتى دهموهم وأخذ سابور قيصر أسيراً وغنم جميع ما في عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور إلى المدينة ودار مملكته فقسم تلك الغنائم بين أهل عسكره واحسن إلى حفظة مملكته وفوض جميع اموره إلى وزيره ثم انه أحضر قيصر فلاطفه واكرمه وقال له اني مبق عليك كما ابقيت علي وغير مجاز لك على التضيق ولكن آخذك باصلاح ما أفسدت من جميع ملكي فتبني ما هدمت وتغرس جميع ما قلعت وتطلق كل ما عندك من اسارى الفرس فضمن له جميع ذلك ووفى فلما أتم سابور ما اراد من ذلك كله أحسن إلى قيصر واطرفه وجهزه إلى دار ملكه واستمر قيصر على مهادنته والانقياد إلى طاعته . انتهى .

حكاية عجيبة

قيل ان هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه يسأله عن شيء ولا شيء وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شيء وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء وعن رجل لا اب له وعن رجل لا ام له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شيء تنفس ولا روح له وعن اليوم والامس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذي في القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت في شيء من ذلك سقطت من عينه فاكتب إلى ابن عباس يخبرك عن هذه الاشياء فكتب إلى بن عباس فاجابه :

أما الشيء فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وأما لا شيء فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله واما مفتاح الصلاة فالله اكبر واما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمده واما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسماعيل واما الرجل الذي لا اب له فعيسى بن مريم واما الرجل الذي لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذي جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به في البحر واما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق واما البقعة التي لم تطلع عليها الشمس الا مرة واحدة فبطن البحر حين انغلق لبني اسرائيل وأما الظاعن الذي ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل الطور كان بينه وبين الارض المقدسة اربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله بجناحين فنادى مناد إن قبلتم التوراة كشفته عنكم والا القيته عليكم فأخذو التوراة معذرين فرده الله إلى موضعه في طور سيناء فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية واما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التي انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام واما الشيء الذي تنفس من غير روح فالصبح لقوله والصبح اذا تنفس واما اليوم فعمل وامس فمثل وغد فاجل وبعد غد فأمل

واما البرق فمخاريق بايدي الملائكة تضرب بها السحاب واما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره واما المحو الذي في القمر فقول الله تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لما عرف الليل من النهار .

حكاية محمد بن عبد الملك بن صالح مع المأمون

دخل محمد بن عبد الملك على المأمون لما أخذت ضياعه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له في الكلام فقال له تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله وملائكته على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا واقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله ان يمد في عمرك من أعمارنا وان يقيك الاذى باسماعنا وابصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول ما دمت بين يدي الله وبين عباده والامين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك الهارب إلى كنفك الفقير إلى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفي نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين في الضياع الّتي افادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل اسلافه الظاهرين الراشدين وقد قمت مقامي هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدي ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبين والمرسلين مزدلفا اليك بالطاعة الّتي أفرع عليها غصني واحتنكت بهاسني وريش بها جناحي متعوذاً من شماتة الاعداء وحلول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن علي جدي وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد اثبت الله الحق في نصابه واقره في داره وارבابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتي غذتنا صغارا وكباراً وشباباً واشياخاً وامشاجاً في

الاصلاب ونطفا في الارحام وقدمنا في القرابة حيث قدمنا الله منك في الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فاقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يرعوي الفاسق ويقمع المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسئول عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن ذنب عاثر وقد قال الله عز وجل ثناؤه وتعالت قدرته (وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) أحاط الله أمير المؤمنين بستره الوافي ومنعه الكافي ثم انشد يقول :

أمير المؤمنين اتاك ركب   لهم قرب وليس لهم تلاد
هم الصدر المقدم من قريش   وانت الراس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت   وارجو ان يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين   وكيف يقل سؤددك البلاد

فاستحسن المأمون كلامه وامر له بالحلل والجوائز ورد ضياعه وقرب منزلته واكرمه .

حكاية نادرة في الوفى

قيل ان النعمان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه واجزل له العطاء وكان طائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته فاخرجته حاجته وفاقته من محل استقراره ليرتاد شيئاً لصبيته فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم أنه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغاراً وأهلاً جياعاً وقد ارقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد اقدمني سوء حظي على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفاء تلف من الطوي ولن يتفاوت الحال في قتلي بين اول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لي في ان

اوصل اليهم هذا القوت واوصي بهم أهل المروؤة من الحي لئلا يهلكوا ضياعاً ثم أعود إلى الملك واسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله قال له لا آذن لك حتّى يضمنك رجل معنا فإن لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له :

يا شريك بن عدي	ما من الموت انهزام
من لاطفال ضعاف	عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار	وافتقار وانتقام
يا أخا كل كريم	أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي	بظمان والتزام
ولك الله بأني	راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك علي ضمانه فمر الطائي مسرعاً وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع الطائي وشريك يقول للملك على سبيله حتّى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم وتأهب للقتل قال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وارجو ان يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره حتّى وصل اليهم فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائماً وقال أيها الملك مر بامرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت اعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت لاحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا الأم الثلاثة واني قد رفعت يوم بؤسي عزالناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك ثم قال الطائي .

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي	فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ مني الوفاء سجية	وفعال كل مهذب مفضال

فقال النعمان ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء له لا دين له فاحسن النعمان اليه ووصله بما أغناه واعاده إلى اهله مكرماً وأناله ما تمناه .

أمرأة تشكو زوجها

جاءت إمرأة إلى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها عمر نعم الرجل زوجك وكان في المجلس رجل يسمى كعباً فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها في امر مباعدته إياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها أحكم بينهما فقال : كعب علي بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال افي امر طعام ام شراب قال بل في أمر مباعدتك اياها عن فراشك فانشدت المرأة هذين البيتين .

يا ايها القاضي الحكيم انشـــــده	ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهـاره وليلـه لا يـرقـــــده	فلست في أمـر النساء احمـــله

وقال الزوج :

زهدني في فرشهـــا وفي الحلـــل	اني امرؤ اذهلـني ما قد نـــزل
في سورة النمـل وفي السو ر الطول	وفي كتـاب الله تخويفـا يجـــل

فقال القاضي :

ان لهـا عليـك حقـــاً لم يــــزل	في اربع نصيبهـــا لمـن عقـــل

فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا ادري من ايكم أعجب امن كلامها ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

وعد لم ينفذ الا بعد تذكير

مات للهزلي أم ولد فامر المنصور الربيع ان يعزيه ويقول له إن الامير موجه اليك جارية نفيسة لها ادب وظرف يسليك بها وآمر لك معها بفرش وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسبه المنصور فحج المنصور معه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة إني احب ان اطوف الليلة بالمدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتّى وصل إلى بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكه الذي يقول فيه الاحوص .

يا بيـت عاتكة الذي انعـزل   حذر العـدا وبه الفـؤاد مؤكـل
اني لامنحك الصـدود وانـني   قسماً اليك مع الصـدود لا ميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكه من غير ان يسأله عنه فلما رجع المنصور أمرّ العصيدة على قلبه فاذا فيها .

واراك تفعل مـا تقـول وبعضهم   مذق اللسان يقول ما لا يفعـل

ففكر المنصور وتذكر الوعد الذي كان وعد به الهذلي فانجزه له واعتذر اليه

حكاية درواس بن حبيب

حكي ان البادية قحطت في ايام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء احد ان يدخل علي الا دخل حتّى الصبيان فوثب درواس ووقف بين يديه مطرقاً فقال امير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان اذن لي أمير المؤمنين ان انشره نشرته فاعجبه كلامه وقال له انشره لله درك .

فقال يا أمير المؤمنين إنه اصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي ايديكم فضول أموال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقو بها عليهم

فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذراً فأمر للبوادي بمائة الف دينار وللغلام بمائة الف درهم ثم قال له ألك حاجة قال ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من اجل القوم .

حكاية ابن الكانس

قال الصاحب فخر الدين بن الكانس سافرت سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قزوين إلى دمشق وقد ولي نظرتها وولي والدي الافتاء فيها وكان له خادم يسمى صبيحا وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنام وكان لطيفاً كثير النوادر فاتفق ان جمال الدين بن الرهاوي موقع دست الوزارة ركب يوماً فتقنطر به الفرس وداس على رأس إحليله فحمل إلى داره واقام بها أياماً إلى ان عوفي وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ما سبب تأخرك هذه الايام فقال قذف بي الفرس وداس طرف احليلي فكدت أموت وقد لطف الله بي وحصل الشفاء فقال له صبيح الحمد لله على سلامة الحصى فانقاب المجلس ضحكاً وخجل ابن الرهاوي وانصرف .

نادره

قيل ان المنصور بن ابي عامر الاندلسي كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر إلى الغزاة الا من الجامع فاتفق أنه في بعض حركاته للغزاة توجه إلى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وارباب الدولة فرفع حامل اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل ابشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت اعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من ابرك الغزوات . ومثل ذلك لما خرج المنصور العباسي إلى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الاولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده فاخذه بعض الاولياء فمسحه وقال :

فالقت عصاها واستقر بها النوى   كما قرعينا بالايـاب المسافـر

ضحك المنصور وقال لم لا قلت فالقى موسى عصاه فقال يا امير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من اشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما انزل على النبي من كلام رب العالمين فكان الامر على ما ذكره واخذ الحصن وحصل الظفر بابي يزيد .

غريبه

قيل ان شريك بن الاعور دخل على معاوية وهو يختال في مشيته فقال لـه معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك لاعور والصحيح خير من الاعور وانك لدميم والوسيم خير من الدميم ففيم سودك قومك فقال شريك لمعاوية والله انك لمعاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك بن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما امية الا أمة صفرت فسميت امية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال معاوية أقسمت عليك الا ما خرجت عني . وخرج وهو يقول : —

ايشتمني معاويــة ابن حـرب   وسيفي صارم ومعي لسانــي

وحولي من ذوي يـزن ليوث   ضراغمة تهش إلى الطعــان

يعير بالدمامة مـن سفــــاه   وربات الحجال من الفـواني

نكته

اتفق ان الملك المعظم عزم على الصيد فقال له جماعة يا مولانا ان القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة ان تصبر إلى ان ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو يفكر اذ دخل عليه مملوك له من احسن الناس وجهاً فوقف أمامه وقد توشح بقوس فقال بعض الحاضرين بالله يا مولانا اركب في هذه الساعة فهذا القمر قد حل في القوس حقيقة فقام وركب استبشاراً بالقول فلم يركب أطيب من تلك السفرة ولا أكثر صيداً منها .

نادرة لطيفة

دخل ابو دمامة على المهدي فانشده قصيدة فقال له سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لي كلباً قال فغضب المهدي وقال اقول لك سل حاجتك وتقول هب لي كلباً فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لك أم لي فقال بل لك فقال اني اسألك ان تهب لي كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هبني خرجت للصيد اعدو على رجلي فامر له بدابة فقال يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فامر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هبني صدت صيداً واتيت به إلى المنزل فمن يطبخ لنا فأمر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين قد صيرت بعنقي عيالا فمن اين لي ما يقوتهم فقال المهدي اعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لي ان اقبل يدك .

نادرة لطيفة

كان ابو جعفر المنصور أيام بني أمية اذا دخل البصرة دخل متكتماً وكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت اليه الخلافة قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال ما حاجتك يا ازهر فقال يا أمير المؤمنين داري متهدمة وعلي اربعة الاف درهم واريدأن ازوج ابني محمدا فوصله باثني عشر الف درهم وقال قد قضينا حاجتك يا ازهر فلا تأتينا بعد هذا طالباً فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له ابو جعفر ما حاجتك يا ازهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالباً وقد أمرنا لك باثني عشر الفاً من الدراهم فلا تأتينا طالباً ولا مسلماً فاخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال ما حاجتك يا ازهر قال اتيت عائداً فقال لا والله بل جئت طالباً وقد امرنا لك باثني عشر الف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد طالباً ولا مسلماً ولا عائداً فاخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ما حاجتك يا ازهر قال يا أمير المؤمنين دعاء كنت أسمعه منك تدعو به وجئت لاكتبه فضحك جعفر وقال الذي تطلبه غير مستجاب فاني دعوت الله به ان لا اراك فلم يستجب لي وقد امرنا لك باثني عشر الف درهم وتعال اذا شئت فقد اعيتنا الحيلة فيك .

كرم عبيد الله بن العباس

من جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال : – يا بن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال له رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال أجل اني لاذكر لك ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مئتا دينار وعشرة الاف درهم قال ادفعها اليه وما اراها تفي بحق يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم شفع بك وبأبيك .

ومن جوده ايضاً ان معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه صلاته حتى ضاقت عليه الحال فقيل له لو وجهت إلى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بالف الف فقال الحسين فما مقدار ما عنده والله انه لا جود من الريح اذا عصفت واسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه يحتاج إلى مائة الف فلما قرأ عبيد الله كتاب الحسين وكان ارق الناس قلباً والينهم عطفاً إنهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية تكون لين المهاد ورفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لخادمه احمل إلى الحسين نصف ما نملكه من ذهب وفضه ودواب واخبره اني شاطرته فان اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه النصف الآخر قال فلما وصل الرسول إلى الحسين قال انا لله ثقلت والله على عمى وما ظننت انه يتسع بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو اول من فعل هذا في الاسلام .

حكاية اروى بنت الحارث بن عبد المطلب

كانت اروى اغلظ الوافدات على معاوية خطاباً وكان حلم معاوية اعظم من خطابها دخلت عليه وهي عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحباً بك يا خاله كيف كنت بعدنا قالت بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة واسأت بابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك واخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فاتعس الله منكم

الجدود وامرغ منكم الخدود ورد الحق إلى اهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور فوليتّم علينا بعد فاصبحتّم تجمحون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله (ص) ونحن اقرب اليه منكم واولى بهذا منكم فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في ال فرعون وكان علي رضي الله عنه عند نبينا محمد (ص) بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو بن العاص كفى ايتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له أنت يا بن الباغية تتكلم وامك كانت اشهر بغي بمكة وارخصهن اجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم اتاني فانظروا اشبههم به فالحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به فقال مروان كفي ايتها العجوز واقصدي ما جئت له فقالت وانت ايضاً يا بن الزرقاء تتكلم ثم التفتت إلى معاوية فقالت والله ما اجرأ هؤلاء غيرك وامك القائلة في قتل حمزه عم النبي (ص) .

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات عسر
ما كان لي عن عتبة من صبر ولا اخي وعمه وبكر
سكنت وحشياً غليل صدري فشكر وحشي علي دهري
حتى ترم اعظمي في قبري

فاجابتها ابنة عمي بقولها :

خزيت في بدر وغير بدر يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خاله هات حاجتك فقالت ما لي اليك حاجة وخرجت عنه .

لما افضت الخلافة إلى بني العباس

اختفت رجال بني أمية ومنهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالماً عاملا أديباً كاملا وهو في سن الشبيبة فأخذوا له أماناً من السفاح فقال له يوماً حدثني عما مر بك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفياً بالحيرة في منزل بشارع على الصحراء فبينما انا على ظهر البيت اذ نظرت إلى اعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت انها تريدني فخرجت من الدار متنكراً حتى أتيت الكوفة ولا أعرف احداً اختفى عنده فبقيت في حيرة فاذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال من انت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فادخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من حالي الا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوماً اراك تدمن الركوب ففيم ذلك قال ابراهيم بن سليمان قتل ابي صبراً وقد بلغني أنه مختف فأنا اطلبه لادرك منه ثأري فكثر والله تعجبي وقلت لقد ساقني حتفي إلى منزل من يطلبني وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم ابيه فاخبرني فعلمت ان الخبر صحيح وانا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا قد وجب علي حقك ومن حقك أن ادلك على خصمك واقرب اليك الخطوة قال وما ذاك قلت انا ابراهيم ابن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك فقال اني احسبك رجلا قد مضه الاختفاء فأحببت الموت فقلت لا والله ولكن اقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدق قولي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق ملياً ثم قال أما انت نستلقى ابي عند حكم عدل فيأخذ بثأره واما أنا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني بلست آمن عليك من نفسي واعطاني الف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه بهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين .

حكاية عن خزيمة بن بشر الاسدي

كان خزيمة مشهور بالمرؤة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتّى احتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حيناً ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخواني تغيراً وقد عزمت على لزوم بيتي إلى ان يأتيني الموت ثم اغلق بابه عليه واقام يتقوت بما عنده حتّى نفد وبقي حائراً في حاله فكان عكرمة الفياض والياً على الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار في اسوأ الاحوال وقد أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض فما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً فامسك عن خزيمة والكلام فيه فلما كان الليل عمد إلى اربعة الاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر باسراج دابته وخرج سراً من اهله فركب ومعه غلام واخذ يحمل المال ثم سار حتّى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عن المكان وتقدم إلى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلاً فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك قال له ما جئت في هذا الوقت وانا اريد ان تعرفني قال خزيمة فما أقبله او تخبرني من انت قال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته فقال ابشري فقد اتى الله بالفرج فلو كان في هذا فلوس كانت كثيرة قومي فاسرجي قالت لا سبيل إلى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه منفرداً فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها ما دهاك يا بنت العم قالت سوء فعلك بابنة عمك أمير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفرداً عن غلمانه في سر من أهله الا إلى زوجة او سرية فقال لقد علم الله ما خرجت لواحدة منها قالت لا بد ان تعلمني قال فاكتميه اذاً قالت افعل فاخبرها بالقصة على وجهها ثم قال اتحبين ان أحلف لك قالت لا قد سكن قلبي ثم اصبح خزيمة قد صالح غرماءه واصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فاخبره بمكانه وكان مشهوراً بالمرؤة وكان الخليفة به عارفاً

فاذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال خزيمة ما ابطأك عنا فقال سوء الحال يا أمير المؤمنين قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي قال فمن أنهضك قال لم اشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل الا برجل يطرق الباب وكان منه كيت وكيت اخبره بقصته من اولها إلى آخرها فقال هل عرفته قال لا والله الا انه كان متنكراً وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان ابن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لاعناه على مرؤته ثم قال علي بقناة فأوتي بها فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض واجزل عطاياه وامره بالتوجه إلى الجزيرة فخرج خزيمة متوجهاً إلى الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعاً إلى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة وامر أن يؤخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطالبه خزيمة بالمال فقال ما لي إلى شيء منه سبيل فأمر بحبسه ثم بعث يطالبه فارسل اليه اني لست ممن يصون ماله لعرضه فاصنع ما شئت فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه واقام على ذلك شهراً فاضناه ثقل الحديد واضربه وبلغ ذلك ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضي الساعة إلى باب هذا الامير فقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك قولي لا اقولها الا للامير خزيمة فاذا دخلت عليه سليه الخلوة فاذا فعل قولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك في مكافأتك له بالتضيق والحبس والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه جابر عثرات الكرام غريمي قالت نعم فأمر من وقته بدابته فاسرجت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس متغيراً قد اضناه الضر فلما نظر عكرمة إلى خزيمة وإلى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه اليه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعلك وسوء مكافأتي قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر بفك قيوده وان توضع في رجليه فقال عكرمة تريد ماذا قال اريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله ان لا تفعل فخرجا جميعاً إلى ان وصلا إلى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال أغير من حالك وحيائي من ابنة عمك اشد من حيائي منك ثم أمر بالحمام فاخليت ودخلا جميعاً ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه

وحمل اليه مالاً كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الاعتذار من ابنة عمه فاذن له فاعتذر اليها وتذمم من ذلك ثم سأله ان يسير معه إلى امير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك فسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاخبره بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الحيرة يقدم علينا مع قرب العهد به ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال فما اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت أن اسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض فاذن له في الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالاً عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم امر له بعشرة الاف دينار مع ما اضيف اليها من التحف والطرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت ابقيته وان شئت عزلته قال بل اردده إلى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعاً ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته .

قصة أرينب بنت اسحاق .

كان عبد الله بن سلام والياً بالعراق من قبل معاوية وكانت ارينب زوجة عبد الله بن سلام من أجمل النساء خلقاً وخلقا واحسنهن ادباً واكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد هام بها لجمالها وادبها على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره رجل من المقربين من والده فذكر ذلك لوالده معاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية إلى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية مهلاً يا يزيد قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال معاوية مهلا واين حجاك ومرؤتك فقال يزيد له قد عيل صبري قال يا بني ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت ارينب بنت اسحاق قد سارت بذكرها الركبان وضربت بجمالها الامثال فاخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب إلى عبد الله بن سلام يستحثه على الحضور ولمصلحة عينها له وكان عنده يومئذ بالشام ابو

هريرة وابو الدرداء صاحبا رسول الله (ص) فلما قدم عليه عبد الله بن سلام في الشام اعد له معاوية منزلا حسناً ونقله اليه وبالغ في اكرامه ثم قال لابي هريرة وابي الدرداء ان ابنتي قد بلغت واريد أن انكحها عبد الله بن سلام لمدينه وشرفه وفضله وادبه وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ولكن ارجو ان لا تخرج عن رأي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك ابو الدرداء وابو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه وحضاك على المسارعة إلى رضائي فقولي لهما عبد الله بن سلام كفء كريم غير ان تحته ارينب بنت اسحاق وانا خائفة ان يعرض لي ما يعرض للنساء من الغيرة ولست بفاعلة حتّى يفارقها واما ابو الدرداء وابو هريرة فانهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام اعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدي معاوية قال اني كنت اعلمتكما أنني جعلت لها في نفسها شورى فادخلا عليها واعلماها بما رأيت لها فدخلا عليها واعلماها بذلك فابدت ما قرره ابوها عندها من قبل فعادا إلى عبد الله بن سلام فاعلماه بذلك ففهم المراد واشهدهما عليه بطلاق ارينب وبعثهما اليه خاطبين فلما دخلا على معاوية اعلماه بطلاق ارينب فاظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا احببته فانصرفا في عافية وعودا الينا وكتب إلى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب وعادا بعد ذلك ابو الدرداء وابو هريرة إلى معاوية فامرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لي ان اكرهها وقد جعلت الشورى في نفسها فدخلا عليها واعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسراها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومرؤته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا انكر شرفه وفضله واني سائلة عنه حتّى اعرف دخيلة خبره ولا قوة الا بالله فان يلك صدر هذا اليوم ولىّ فان غداً لناظره قريب ثم تزايد حديث الناس بطلاق ارينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله بالدرداء وابا هريرة فاتياها فقالا لها اصنعي ما انت صانعة واستخيري الله فقالت ارجو والحمد لله ان يكن الله قد اختار لي فانه لا يكل إلى غيره وقد سبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه والآمر به فلما بلغه كلامهم علم انها حيلة وانه مخدوع وقال متعزياً

ليس لامر الله راد ولعل ما سروا به لا يدوم لهم سروره قال وذاع أمره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع ثم ان معاوية بعد انقضاء ايامها المعلومة وجه ابا الدرداء إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما فقال ابو الدرداء ، اذ قدم العراق ما ينبغي الذي عقل ان يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذ دخل موضعاً هو فيه فقصد الحسين رضي الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته لجده محمد (ص) وقال ما اتى بك يا ابا الدرداء قال وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد ارينب بنت اسحاق فرأيت علي حقا ان لا ابدأ بشيء قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك واثنى عليه وقال لقد ذكرت نكاحها واردت الارسال اليها اذا انقضت عدتها وقد اتى الله بك فاخطبها لي وله على بركة الله وهي امانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل قال ايتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل امر قدراً ولكل قدر سبباً فليس لاحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله ابن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيراً كثيراً وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين بن علي ابن بنت رسول الله (ص) سيد شباب أهل الجنة فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلاً ثم قالت يا ابا الدرداء لو جاءني هذا الامر وانت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك فاذا كنت انت المرسل فيه فقد فوضت أمري فيه بعد الله اليك وجعلته في يديك فأختر لي ارضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس امرها عليك خفياً فاقضي يا ابا الدرداء فقال ايتها المرأة انما علي اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما انا بنت اخيك ولا يمنعك احد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك اداء الامانة فلم يجد بداً من القول فقال يا بتت ابن بنت رسول الله (ص) احب الي في ذلك وارضى عندي والله اعلم .

وقد رأيت رسول الله (ص) واضعاً شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله (ص) شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين

بن علي عليهما السلام فساق لها مهراً عظيماً وبلغ معاوية ما فعله ابو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذابله وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها ذهباً وكان معاوية قد اطرحه وقطع عنه جميع روافده لقوله إنه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده فرجع إلى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبري وخبر ارينب وكنت قبل فراقي ايها استودعتها مالا وكان الذي كان ولم اقبضه ووالله ان ظني بها جميل فذاكرها في امري فان الله يجزيك به خيراً فسكت عنه فلما انصرف إلى اهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسر في ذلك وذكر انه استودعك مالا فقالت صدق استودعني مالا لا ادري لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فاثني عليه الحسين خيراً وقال الا ادخله عليك حتى تبرىء منه ثم لقي عبد الله بن سلام وقال ما انكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها واستوفي مالك بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فاخرجت اليه البدره فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر واثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك جانباً كبيراً وقال لها والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت اصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال اشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم انت تعلم أنني لم استنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكن اردت احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق لها في مهرها بعد ما عرضته عليه وقال الذي ارجوه من الثواب خير لي فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة إلى ان فرق الموت بينهما .

حكاية عجيبة

قال الامير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي القاهرة في الايام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فاكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال

فقلنا له هؤلاء أولادك فقال نعم وكابي بكم وقد أنكرتم بياضهم وسوادي فقلنا له نعم قال هؤلاء أمهم افرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثي بها عجيب قلنا اتحفنا به قال زرعت كتاناً في هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ الثمن إلى أكثر من مصروفي عليه فحملته إلى القاهرة فلم يصل إلى أكثر من ذلك فاشير علي بحمله إلى الشام فحملته إلى الشام فما زاد على تلك القيمة شيء فوصلت به عكا فبعت بعضه بالاجل والبعض تركته عندي واكتريت حانوتاً ابيع فيه على مهل إلى حيث انقضاء المدة فبينما أنا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فأتت تشتري مني كتاناً فرأيت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الي بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الاولى فتكررت الي وعلمت اني احبها فقلت للعجوز التي معها انني قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة انا وانت وهو فقلت لها قد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال على أن أدفع خمسين ديناراً فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت في نفسي أما تستحي من الله وانت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم إني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك ثم نمت إلى الصبح فنامت إلى الصبح وقامت في السحر وهي عضبى ومضت ومضيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه واذا هي قد عبرت علي هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت فقلت في نفسي من هو انت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعي فقالت ما أرجع اليك الا بمائة دينار فقلت نعم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت إلى موضعي ثم عبرت بعد ذلك علي وكانت مستغربة فقالت ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت أنني اصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة فانقطعت عني واخذت انا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي

والمصالحة على ما بقي منه واخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفي قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت إلى دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وافر واخذت أتجر في الجواري عسى ان يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضيت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع البلاد وملوكها فطلب مني جارية للملك الناصر فاحضرت جارية حسناء فاشتريت مني له بمائة دينار فاوصلوا الي تسعين ديناراً وبقيت لي عشرة دنانير فلم يلتقوها في الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضو به إلى الخزانة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة بعشرة دنانير التي له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي الافرنجية فقلت اعطوني هاتيك فاخذتها ومضيت إلى خيمتي وخلوت بها وقلت لها اتعرفيني قالت لا قلت أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى واخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصرني الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك بعشرة دنانير فقالت مديدك انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بامر القاضي فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر واتينا دمشق بعد مدة يسيرة واتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان اسيراً من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندي وطلبت مني واحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين إلى بلادك او زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان انا قد اسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه وما بقيت الافرنج تنتفع بي فقال لها الرسول أيما احب اليك هذا المسلم او زوجك الافرنجي فلان فاعادت عليه عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامهم ثم قال لي الرسول خذ زوجتك فوليت بها فطلبني ثانياً وقال ان امها ارسلت معي وديعة وقالت ان ابنتي اسيرة واشتهي ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت إلى الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينار والمائة دينار كما هما بربطي لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام

مما تعتنين به قالت ما خارج هذه الدار من بيي وبينه نسب فقالت اذا كان الامر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولي لها جميع ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق إلى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت اوسعها وانزلها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت زينب ثم تركناها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قدكانت فيما فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة الف درهم فحملت اليها وفي اثناء ذلك وافى المهدي فسألنا عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضباً وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على انعمه وقد املنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها فوالله لولا محلك بقلبي لحلفت ان لا اكلمك ابداً فقالت الخيزران يا امير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدره وادخل اليها وابلغها مني السلام وقل لها والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد وجب على امير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلماً عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فاقبلت على الفور فسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنيعه وبالغت في الثناء على الخيزران عنده وقالت ما على امير المؤمنين من حشمة أنا في عدد حرمه ثم قامت إلى منزلها فخلفتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري كتصرف الخيزران فأرخها عندك فانها من احسن النوادر .

قصة عشرة اتهموا بالزندقة وطفيلي

روى عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم قال أمر المأمون ان يحمل اليه عشرة من اهل البصرة قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم احد الطفيليين قد اجتمعوا بالساحل قال ما إجتمع هؤلاء الالوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون إلى البحر واطلعوهم في زورق قد اعد لهم فقال الطفيلي لا شك انها نزهة فصعد معهم في الزورق فلم يكن باسرع من ان قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم أنه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر وساروا بهم إلى ان ادخلوا بغداد وحملوا حتى ادخلوا على المأمون فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب اعناقهم

حكاية مزنة بنت مروان مع الخيزران

عن ابي موسى محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن جعفر قال حدثني ابي قال كنت اتردد إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عياش واخدمها فتوجهت إلى خدمتها يوماً فقالت اقعد حتّى احدثك حديثاً كان بالامس يكتب على الاماق . كنت أمس عند الخيزران ومن عادتي ان اجلس بازائها وفي الصدر يجلس المهدي يجلس فيه وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت اعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرني فالتفتت الي الخيزران وقالت ما تريدين قلت ادخليها فانه لا بد من فائدة او ثواب فدخلت امرأة من اجمل النساء لا تتوارى بشيء فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت انا مزنة بنت مروان بن محمد الاموي فقالت الخيزران لاحياك الله ولا قربك فالحمد لله الذي ازال نعمتك وهتك ستّرك واذلك اتذكرين يا عدوة الله حين اتاك عجائز اهل بيتي يسألنّك ان تكلمي صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتيهن ما لا سمعن قبل وامرت فاخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة فما انسى ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت يا بنت العم اي شيء اعجبك من حسن صنيع الله بي على العقوق حتّى اردت ان تتأسى بي فيه والله اني فعلت بنسائك ما فعلت فأسلمني الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك لله تعالى على ما اولاك بي ثم قالت السلام عليكم ثم ولت مسرعة فصاحت بها الخيزران فرجعت قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس في لذلك موضع مع الحال التي أنا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذاً وامرت جماعة من جواريها بالدخول معها إلى الحمام فدخلت وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فاخذت من الثياب ما ارادت ثم تطيبت ثم خرجت الينا فعانقتها الخيزران واجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ثم قالت لها الخيزران هل لك في الطعام فقالت والله ما فيكن احوج مني اليه فعجلوه فأتى بالمائدة فجعلت تأكل غير متخشمة إلى ان اكتفت ثم غسلنا ايدينا فقالت لها الخيزران من وراءك

فاستدعوهم باسمائهم حتى لم يبق إلا الطفيلي وهو خارج عن العدة فقال لهم المأمون من هذا قالوا والله ما ندري يا أمير المؤمنين غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك قال يا أمير المؤمنين ما كنت اعرف من اقوالهم شيئاً ولا اعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله (ص) إنما رأيتهم مجتمعين فظننت انهم مدعوون إلى وليمة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم هذا ان احل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال ابراهيم بن المهدي هبه لي واحدثك بحديث عن نفسي في التطفل عجيب قال المأمون قد وهبته لك هات حديثك قال يا أمير المؤمنين خرجت يوماً متنكراً للتنزه فانتهى بي المشي إلى موضع شممت منه روائح طعام وابازير قد فاحت فتاقت نفسي اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المضي فرفعت بصري واذا شباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت احسن منهما فوقفت حائراً ونسيت روائح الطعام بذلك الموضع لمرآي الكف والمعصم واخذت في اعمال الحيلة فاذا خياط قريب مني فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت لمن هذه الدار قال مداعباً ومنادماً لي اتفق انه حضر في بعض الليالي عنده فلما رجع إلى منزله قالت له زوجته اين انعام السلطان فقال ما انعم علي الليلة بشيء فقالت أنا اعرض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف والنعال إلى ان الانت اعطافه وادارت في حالة الصفع اكتافه وشتمت اسلافه فكتب للمعظم رقعة في ذلك منها .

وتخالفت بيض الاكف كأنها التـ ـصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كأنها وقع المطارق من يدي نحاس

وقال اجب عنها فاجابه بقوله :

فاصبر على اخفافهن ولا تكن متخلقاً الا بخلق الناس
واعلم فان اختلفت عليك بانه ما في وقوفك ساعة من باس

نادرة لطيفة

سأل الرشيد وزيره جعفر عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندي جاريتان وهما يكبساني فتناومت عنهما لانظر صنعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها على ذلك الشيء فلعبت به حتى انتصب قائماً فوثبت المكية عليه قاعدة فقالت المدنية أنا احق به لانني حدثت عن مالك عن نافع عن بن عمر عن النبي (ص) انه قال من احيا ارضاً ميتة فهي له فقالت المكية وانا حدثت عن معمر عن عكرمة عن بن عباس عن النبي (ص) أنه قال ليس الصيد لمن اثاره انما الصيد لمن امسكه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما بحكم امير المؤمنين

نادرة في المحبة

حكى ان فتى من ذوي النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسناء تحسن الغناء فضاق بهم الخناق واشتد بهما الحال في عدم ما يقتاتان به فقال لها قد ترين ما قد صرنا اليه من هذه الحالة السيئة ووالله لموتى وانت معي احسن واهون علي مما اذكره لك فان رأيت ان ابيعك لمن يحسن اليك ويغسل عنك ما انت فيه واتوسع انا بما لعله يصير الي من الثمن ولعلك تحصلين عند من تتوصلين إلى نفعي معه فقالت والله لموتي على تلك الحالة معك آثر عندي من انتقالي إلى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع ما بدا لك قال فخرج وعرضها للبيع فاشار عليه احد اصدقائه ممن له رأي أن يحملها إلى ابن معمر أمير العراق فحملها اليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة الف درهم وقد انفقت عليها مالاً كثيراً حتى صارت في رتبة الاستاذية قال أما ما انفققت عليها فغير محتسب لك به لانك انفقته في لذاتك واما ثمنها فقد امرنا لك بمائة الف درهم وعشرة اسناط من الثياب وعشرة رؤس من الخيل وعشرة رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم ارضى الله الامير فأمر له بالمال فاحضر وامر قهرمانه بادخال الجارية إلى الحرم فامسكت بجانب الستر وبكت وقالت :

هنيئاً لك المال الذي قـد افدتـه   ولم تبق في كفي غير التفكـر
اقول لنفسي وهي في كرباتهـا   اقلي فقـد بان الحبيب أو اكثري
اذا لم يكن للامر عندك موضـع   ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري

فبكى مولاها واجاب قائلا : —

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن   يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
اروح بهم من فراقك موجـع   اناجي به قلباً قليل التصبر
عليـك سلامي لا زيارة بيننـا   ولا قرب الا ان يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله فيها وفيما وصلك منا فاخذها واخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله .

حكاية الاسكندر وملك الصين

ذكر القاضي ابو الحسين التنوخي رحمه الله تعالى ان الاسكندر لما انتهى إلى الصين ونزل على ملكها اتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان رأى الملك ان يخلي مجلسه فليفعل فأمر الاسكندر لخدمه بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذي جئت به لا يسمعه غيرك فأمر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفاً مجرداً وقال له قل ما شئت ثم أخرج جميع من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت أسألك عما تريد فان كان ما يمكن الانقياد اليه ولو على اصعب الوجوه أجبت اليه وغنيت أنا وانت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذي امنك مني قال علمي بانك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل ومتى قتلتني أقاموا غيري ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكراً في مقاله وعلم أنه رجل عاقل فقال له اريد ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه

في كل سنة قال اجبتك قال فكيف تكون حالك قال اكون قتيلاً او محارباً قال فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال اصلح مما تقدم ذكره قال فان قنعت منك بإرتفاع سنة واحدة قال يكون مضراً بي ومذهبا لجميع لذاتي قال فان اقتصرت منك على السدس موفراً والباقي لجيشي ولاسباب الملك قال قد اقتصرت على هذا فشكره وانصرف فلما اصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارتعب وتواثبت اصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر اغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب عنك من الجيش اكثر لكني رأيت العالم الاكبر مقبلاً عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الاكبر غلب فأردت طاعته بطاعتك، والذلة لامره بالذلة لامرك فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شيء فما رأيت بيني وبينك احد يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته منك وانا منصرف عنك فقال ملك الصين أما اذا فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر اتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره عليه .

حكاية غريبة

قيل انه أصابت بني نبهان سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى نزل بهم في الحيرة وقال كونوا قريباً من الملك يصبكم من خيره حتى ارجع اليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة ايام حتى انتهى إلى عطن إبل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من ادم قال فقلت في نفسي ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت في الخباء فاذا شيخ كبير قد اوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم النهار اقبل فارس ولم ار اعظم من شكله وفي خدمته اسودان يمشيان بين جنبيه واذا بمائة من الابل معها فحلها فبرك الفحل وبركن حوله فقال لاحد عبيده احلب فلانه فحلبها ثم وضع اللبن بين يدي الشيخ فكرع وشرب منه واخذه وقدمه الي فشربت نصفه ثم وضع الباقي وامر بشاة فذبحت وشويت واكلنا منها جميعاً

فامهلت حتّى ناموا وحكم عليهم النوم سرت إلى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الابل فمشيت إلى الصباح فلما اصبحت نظرت فلم اجد أحداً ولما تعالى النهار التفت فاذا انا بخيال كانه الطائر فما زال يدنوني حتّى تبينته فاذا فارس على فرس واذا هو صاحبي بالامس فعقلت الفحل وعمدت إلى كنانتي فقال احلل عقال الفحل فقلت كلا لقد خلفت خلفي عيالا جياعاً بالحيرة قال فانك ميت حل عقاله لا ام لك وانصب لي خطام الفحل واجعل فيه خمس عقد وقل لي اين تحب ان اضع سهمي فقلت في هذا الموضع فكأنما وضعها بيده ثم أقبل يرمي الخمس واحدة بعد الاخرى بخمسة اسهم كل سهم اصاب عقدة فرددت نبل قوسي وحططته ووقفت مستسلماً فدنى مني واخذ القوس والسيف واردفني خلفه وقد عرف اني ضيفه الذي شربت عنده اللبن واكلت اللحم فقال كيف ظنك بي فقلت احسن ظن فقال ابشر إنه لن ينالك شر وقد كنت ضيفُ مهلهل فقلت ازيد الخيل انت قال نعم انا زيد الخيل فلما انتهينا إلى منزله قال لو كانت هذه الابل لي لسلمتها اليك ولكنها لابنة مهلهل فاقم عندي فاقمت عنده أياماً فشن الغارة على بني نمير فاصاب مائة من الابل فقال هذه عندك احسن ام تلك قلت هذه احب قال دونكها وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتّى و لمت الحيرة فلقيني نبطي فقال يا اعرابي احتفظ بابلك فقد قرب مخرج النبي الذي يملك هذه الارض ويطرد اهلها حتّى ان احدكم يبتاع البستان بثمن بعير قال فاحتملت اهلي إلى النبط حتّى جاء رسول الله (ص) فأسلمنا على يديه وما مضت الا اياماً حتّى اشتريت بثمن بعير من ابلي بستاناً بالحيرة والله اعلم .

حكاية الواقدي

قال الواقدي كان لي صديقان احدهما هاشمي والثاني نبطي فكنا في الصداقة كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي اما نحن فنصبر على البؤس والشدة واما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبي عليهم رحمة بهم لانهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه في كسوتهم قال فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي فوجه الي كيساً فيه الف درهم فما استقر قراره حتّى كتب الي صديقي النبطي

يشكو الي مثل ما شكوت إلى صديقي الهاشمي فوجهت اليه بالكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وانا مستح من زوجتي فلما دخلت عليها لم تعنفني لعلمها بالحال فبينما انا كذلك اذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال اصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فاعلمته بالخبر فقال إنك وجهت به الي ولا املك الا ما بعثت به اليك وكتبت إلى صديقي اسأله المواساة فوجه الي كيسي بختمه فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي اثلاثاً ونما الخبر إلى المأمون فاحضرني وسألني عن الخبر فشرحت له فأمر لنا بسبعة الاف دينار منها الف للمرأة والفان لكل واحد منا .

ويضارع هذه القصة ما يأتي : —

قال الاصمعي قصدت في بعض الايام رجلا كنت اغشاه لكرمه فوجدت على بابه بواباً فمنعني من الدخول اليه ثم قال والله يا اصمعي ما اوقفني على بابه الا لأمنع مثلك لرقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها :

إذا كان الكريم لـــه حجـــاب　　فمـا فضـل الكريم على اللئـيم

ثم قلت له اوصلها اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها ما يلي : —

اذا كـــان الكـريم قليـــل مـال　　تحجـب بالحجـاب عـن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لا تحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآني المأمون قال من اين يا اصمعي قلت من عند رجل من اكرم الناس حاشا امير المؤمنين قال من هو فدفعت اليه الرقعة والصرة واعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت المال ولا بد من الرجل فقلت والله يا امير المؤمنين اني استحي ان اروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعي فاذا اراك الرجل قل له اجب امير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له اما انت الذي وقعت لنا بالامس وشكوت رقة الحال وان الزمان قد اناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعي ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله مـا

كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال لكني استحييت من الله ان اعيد قاصدي الا كما اعادني أمير المؤمنين فقال له المأمون لله انت فما ولدت العرب اكرم منك ثم بالغ في اكرامه وجعله من جملة ندمائه .

قوة حجة وثبات جأش

نقل عن الربيع انه قال ما رأيت رجلا اثبت ولا اربط جأشاً من رجل رفع إلى المنصور ان عنده ودائع واموالاً لبني امية فأمرني باحضاره فاحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا ان لديك ودائع لبني امية فأخرج لنا الودائع والاموال فقال يا أمير المؤمنين اوارث انت لبني امية قال لا قال فوصي قال لا قال فما سؤالك عما في يدي من ذلك قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين فيها وانا وكيل المسلمين في حقهم فاريد ان آخذ اموال المسلمين واجعلها في بيت مالهم فقال يا امير المؤمنين تحتاج في ذلك إلى بينة عادلة على ان الذي في يدي لبني امية مما خانوه وظلمو واغتصبوه من اموال المسلمين فان بني امية كان لهم اموال غير اموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال صدقت ايها الرجل يا ربيع ما وجب عليه عندنا شيء ثم بش في وجهه فقال هل لك من حاجة قال الرجل نعم يا أمير المؤمنين حاجتي ان تنفذ كتابي مع البريد إلى اهلي ليسكنوا إلى سلامتي فقد راعهم اشخاصي وقد بقيت لي حاجة اخرى يا امير المؤمنين قال وما هي قال تجمع بيني وبين من سعى بي اليك فوالله ما لبني امية عندي ولا في ذمتي او يدي وديعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني رأيت ما قلته اقرب إلى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به قال فجمعت بينهما فقال هذا الغلام غلامي ضرب علي ثلاثة الاف من مالي وابق فشدد المنصور على الغلام فاقر انه غلامه وانه اخذ المال الذي ذكره وابق منه وكذب عليه خوفاً من الوقوع في يده فقال المنصور للرجل نسألك ان تصفح عنه فقال يا أمير المؤمنين صفحت عنه وابرأت ذمته من المال وله ثلاثة الاف دينار اخرى فقال المنصور ما على هذا من مزيد في الكرم قال بلى يا امير المؤمنين هذا حق كلامك وانصرف وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع .

روى عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلة من الليالي يطوف يتفقد احوال المسلمين فرأى بيتاً من الشعر مضروباً فلم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه انين امرأة ورأى رجلاً قاعداً فدنا منه وقال من الرجل فقال له الرجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد اخذها الطلق قال فهل عندها احد قال لا فانطلق عمر إلى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي ابي طالب بنت فاطمة الزهراء رضي الله عنهم هل لك في اجر ساقه الله اليك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها احد قالت ان شئت قال فخذي معك ما يصلح المرأة من الخرق والدهن وائتني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى اتى البيت فقال ادخلي إلى المرأة ثم قال للرجل اوقد لي ناراً ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضج الاكل وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضي الله عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاح وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك قال يا اخا العرب من ولي شيئاً من امور المسلمين ينبغي له ان يتطلع على صغير امورهم وكبيرها فانه عنها مسئول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر واخذ القدر من على النار وحملها إلى باب البيت واخذتها ام كلثوم واطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله عنه للرجل قم إلى بيتك وكل ما في البرمة وفي غد إئت الينا فلما أصبح جاءه الرجل فجهزه بما اغناه وانصرف وكان عمر رضي الله عنه شديد الحرص والتعرف على احوال الرعيه .

كرم عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما

كان عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما من اجود الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحو عن الباب وليأخذ الماء بعض غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ ايام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام إحمل اليها عشرة الاف درهم فقالت

سبحان الله أتسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين الف درهم فقالت اسأل الله العافية فقال إحمل لها ثلاثين الف درهم فما أمست حتّى كثر خطابها وكان رضي الله عنه ينفق على اربعين داراً من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره واربعين أمامه واربعين خلفه ويبعث اليهم الاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك

مشاورة عمر بن الخطاب للصحابة

استشار ابو عبيدة امراء المسلمين في المسير إلى قيسارية او إلى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل ايها الامير اكتب إلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث امرك امتثله قال له اصبت الرأي يا معاذ ثم كتب إلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه بذلك وارسل الكتاب إلى عرفجة بن ناصح النخعي فسار حتّى وصل المدينة فسلم الكتاب إلى عمر رضي الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس فاذا فتحها الله له صرف وجهته إلى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا اخبرنا رسول لله (ص) قال عمر صدق المصطفى (ص) وصدقت يا ابا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عامله بالشام ابي عبيدة اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي واسلم على نبيه وقد وصلني كتابك تستشيرني إلى ايّ ناحية تتوجه وقد اشار بن عم رسول الله (ص) بالمسير إلى بيت المقدس فإن الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب إلى ابي عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدمه الجيش واقام المسلمون في القتال عشرة ايام واهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان يوم الحادي عشر اشرفت عليهم راية أبي عبيدة وخالد بن الوليد عن يمينه وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب في اهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهي البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدي البطيرك قال لهم ما هذه الضجة التي اسمع قالوا يا ابانا قد قدم أمير المؤمنين بقية المسلمين فلما سمع البطيرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه قال إنا وجدنا في علمنا

الذي ورثناه ان الذي يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله ولا بد ان اشرف عليه وانظر إلى صفته فان كان هو اجبته إلى ما يريد وان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائماً والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا إلى السور إلى ان ورد ابو عبيدة رضي الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يا معشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربي اعلموا ان الرجل الذي يفتح بلدتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت هذه الصفة في أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم ابداً فاعلم المسلمون ابا عبيدة بذلك فخرج ابو عبيدة اليهم إلى ان حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها اربعة اشهر في اشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار في ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدي البطيرك وقالوا له قد عظم الامر ونريد منك ان تشرف على القوم وتسأل ما الذي يريدون فان كان امراً صعباً فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا او نهزمهم عنا فاجابهم البطرك إلى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل عربي وقال يا معشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد اقبل يخاطبكم فليدن منا اميركم فقام ابو عبيدة يمشي ومعه جماعة من اصحاب رسول الله (ص) وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذي تريدون هذا امير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدتنا ابداً وانما يفتحها رجل موصوف عندنا وليست الصفة معكم قال ابو عبيدة وما صفته قال البطرك لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع ابو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم اقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا (ص) قال البطرك فاذا كان الامر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأتي فاذا رأينا نعته فتحنا له البلد واعطيناه الجزية فانصرف ابو عبيدة وامر الناس بالكف عن القتال واعلمهم

بالخبر فكبروا وكتب ابو عبيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد يسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا امين الامة فكان اول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال يا امـير المؤمنين ان الله قد اذل الروم فان انت أقمت ولم تسر اليهم علموا انك بامرهم مستخف فلا يثبون الا يسيراً فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيراً وقال هل عند احد منكم رأي غير هذا فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه نعم عندي غير هذا الرأي وانا ابديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا ابا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقـد اصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في سيرك الاجر العظيم ولست آمن منهم انهم ايسوا منك ان تأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب ان تسير اليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد احسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي احسن النظر للمسلمين جزاهما الله خير ولست آخذ الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر امر الناس ان يأخذوا الاهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له احمر عليه غرارتان في احداها سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربه وخلفه جفنة للزاد وسار إلى ان أقبل على بيت المقدس فالتقاه ابو عبيده فلما رآه اناخ قلوصه واناخ عمر بعيره وترجلا ومد ابو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه واقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعاً إلى ان نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وابو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم إلى ان حضرت صلاة الظهر اذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله اكبر خشعت جوارحهم واقشعرت ابدانهم فلما قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر رسول الله وكاد بلال ان يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم امرهم بالركوب فلما هم بالركوب من بعيره وعليه مرقعته من الصوف وفيها اربعة عشر رقعة بعضها من ادم قال المسلمون يا امير المؤمنين لو ركبت غـير بعيرك جواداً ولبست ثياباً لكان ذلك اعظم لهيبتك في قلوب اعدائك واقبلوا

يسألونه ويتلطفون به إلى ان اجابهم إلى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثياباً بيضا قال الزبير احسبها من ثياب مصر تساوي عشرة دراهم وطرح على كتفه منديلا من الكتان دفعه اليه ابو عبيدة وقدم له برذوناً اشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلماً نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً وقـال اقيلوني عثرتي اقال الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد اميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم إنه نزع البياض وعاد إلى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ما شأن العرب فاشرف رجل من المتنصرة فقال يا معشر العرب ما قضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا (ص) فرجع المتنصر واعلم البطرك فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لابي عبيدة تقدم إلى القوم واعلمهم اني قد اتيت فخرج ابو عبيدة وصاح بهم وقال ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد اتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور واشرف على ابي عبيدة وقال ما هذا ايها الشيخ قال ابو عبيدة هذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنوا مني فإنا نعرفه بصفاته ونعته وافردوه من بينكم حتى نراه فرجع ابو عبيدة إلى عمر فاخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله (ص) يخشى عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وابو عبيدة سائر بين يديه إلى ان اتى بازاء البطرك قريباً من الحصن فقال ابو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا ثم قال يا اهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت انفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه في تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجداً على قتب بعيره ثم اقبل عليهم وقال ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها واقام بها إلى يوم الجمعة وخط محراباً وهو موضع مسجد وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة واقام في بيت المقدس عشرة ايام وبها اسلم

كعب الاحبار على يده وارتحل معه إلى المدينة لزيارة المسجد وذلك بعد ان كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس واقرهم في بلدهم على عهدهم واداء الجزية .

حكاية لطيفة بين ابنا علي رضي الله عنهم

جرى بين الحسين بن علي بن ابي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد إلى منزله اخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن ابي طالب إلى أخيه الحسين بن علي بن ابي طالب اما بعد فان لك شرفاً لا ابلغه وفضلاً لا ادركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضيني واياك ان اكون سابقك إلى الفضل الذي انت اولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه رضي الله عنهما .

حكاية اخرى

حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء اهل الشام فطاف بالبيت واجتهد أن يستلم الحجر الاسود فلم يقدر من شدة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس فاقبل علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو احسن الناس وجهاً وانظفهم ثوباً واطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالاً له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشام بن عبد الملك وبلغ منه فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا اصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفاً ولكن خاف من رغبة اهل الشام فيه . فقال الفرزدق وكان حاضراً انا اعرفه يا شامي قال من هو قال : —

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا بن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا

يكـاد يمسكه عرفـان راحتـــه	ركن الحطيم اذا مـا جـاء يستلم
اي الخلائـق ليســت في رقابهـــم	لاوليـة هـذا اولـه نعـــم
من يعـرف الله يعـرف اوليـة ذا	فالدين من بيـت هذا ناله الامم
وليـس قولك من هـذا بضائـــره	فالعرب تعرف من انكرت والعجم

فحبسه هشام ثم اطلقه فوجه اليه علي بن الحسين عشرة الاف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين وقد رأى الله مكانك ولكنا اهل البيت اذا انفقنا شيئاً لم نرجع فيه واقسم على الفرزدق فقبلها

خلافة عمر بن الخطاب

لما رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر قال قد اقبل من الشام سالماً فقالت يا هذا لا جزاه الله خيراً عني قال ولم ؟ قالت لانه ما انالني من عطائه منذ ولي امر المسلمين ديناراً ولا درهماً فقال وما يدري عمر بحالك وانت في هذا الموضع ! فقالت سبحان الله ما ظننت ان احداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها ! فبكى عمر رضي الله عنه وقال واعمراه كل احد افقه من عمر حتى العجائز ثم قال لها يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فاني ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً فبينما هو كذلك اذ أقبل علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يديها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر رضي الله عنه لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة إلى يوم كذا بخمسة وعشرين ديناراً فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه شهد بذلك علي وابن مسعود ثم دفعها إلى ولده وقال له

اذا أنا مت فاجعلها في كفني القى بها ربي . وقال شرف الدين حسين بن ريان أغرب ما سمعته من الاخبار والعجب ما نقلته عن الاخبار ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ويسمع كلامه قال : بينما الامام جالس في بعض الايام وعنده أكابر الصحابة واهل الرأي والاصابة وهو يقول في القضايا ويحكم بين الرعايا اذ أقبل شاب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من احسن الشبان نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه بين يدي امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فأمرهما بالكف عنه فأدنياه منه وقالا يا أمير المؤمنين نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله ربانا صغاراً واعزنا كباراً واولانا نعماً غزارا كما قيل :

ولنـا والد لو كـان للنـاس مثلـــه   أب آخـر اغناهم بالمنـاقـب

خرج اليوم إلى حديقته يتنزه في اشجارها ويقطف من يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما اراك الله فنظر عمر إلى الشاب وقال له قد سمعت القول فما الجواب ؟ والغلام مع ذلك ثابت الجأش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع جلباب الجزع فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان ثم قال يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى وعبرا بما ترى وسأنهي قصتي بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا أمير المؤمنين اني من العرب العرباء أبيت في منازل البادية واصبح على اسود السنين العادية فاقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والولد فافضت بي بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بنياق حبيبات الي عزيزات علي بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشي بينهن كانه ملك على رأسه تاج فدنت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد زمجر وزفر وتسور الحائط وظهر وفي يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله واصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه وانقلبَ توقدت في جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل

به بعد ان صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فاسرعت من مكاني فلم يكن باسرع من هذين الشابين فامسكاني واحضراني فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعاً لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدي واسلم امره الي واشهد الله علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظ جهدك فاتخذت لذلك مدفناً ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت بقتلي ذهب الذهب وكنت انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان أنظرتني ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافياً بالذم ولي من يضمنني على هذا الكلام فاطرق عمر ثم نظر إلى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه ؟ قال : فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناظرين واشار إلى ابي ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويصبني قال عمر يا ابا ذر تضمنه على هذا الكلام ؟ قال نعم أضمنه إلى ثلاثة ايام فرضي الشابان بضمانة ابي ذر وانظراه ذلك القد فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها يزول او قد زال حضر الشابان إلى المجلس وعمر جالس وحوله الصحابة كالنجوم وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا أين الغريم يا أبا ذر كيف يرجع من فر ؟ لا تبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال ابو ذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان واسلمت نفسي وبالله المستعان فقال عمر والله ان تأخر الغلام لامضين في ابي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبارات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فاصرا على عدم القبول وابيا الا الاخذ بثأر المقتول فبينما الناس يموجون تلهفاً لما مر ويضجون تأسفاً على ابي ذر اذ اقبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه اتم السلام ووجهه يتهلل مشرقاً ويتكلل عرقاً وقال قد أسلمت الصبي إلى اخوانه وعرفتهم بخفى امواله واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر ومن وفى رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كيلا يقال ذهب من الناس فقال ابو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام

ولم اعرفه من اي قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الي دون من حضر فقصدني وقال هذا يضمنني فلم استحسن رده وابت المروءة ان تخيب قصده اذ ليس في اجابة القاصد من باس كيلا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك يا أمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا فبدل وحشته بايناس كيلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه واستغزر مروءة ابي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت :

ومن يصنع الخير لم يعدم جوائزه   لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية أبيهما فقالا انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى .

الهرمزان بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه

احضر الهرمزان بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مأسوراً فدعاه إلى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين قبل ان تقتلني اسقني ماء ولا تقتلني ظمآن فأمر له عمر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى انظر في أمره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله قال عمر رضي الله عنه لقد اسلمت خير اسلام فما الذي اخرك ؟ قال : خشيت ان يقال اني أسلمت خوفاً من السيف فقال عمر إنك لفارس حكيم استحققت ماكنت فيه من الملك ثم ان عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش إلى ارض فارس ويعمل برأيه .

وقيل دخل عمر بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر : اخبرني عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت واشجع من لقيت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين خرجت مرة اريد الغارة فبينما أنا سائر اذ بفرس مشدود

ورمح مركوز واذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً وهو محتب بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن انت ؟ قلت انا عمرو بن معد يكرب الزبيدي فشهق شهقة فمات فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رأيت وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي فاذا انا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته فقلت خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن انت فاعلمته بي فقال يا ابا ثور ما أنصفتني انت على ظهر فرسك وانا على الارض فاعطني عهداً ألا تقتلني حتى اركب فرسي فاعطيته عهداً فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا ؟ فقال ما انا براكب فرس ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم بناكث العهد فتركته ومضيت فهذا يا أمير المؤمنين احيل من رأيت وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق فلم أر أحداً فأجريت فرسي يميناً وشمالاً واذا بفارس فلما دنا مني فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من أجمل من رأيت من الفتيان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلم علي فرددت عليه السلام وقلت من الفتى ؟ قال الحرث بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال الويل لك فمن انت ؟ قلت عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتلك الا استصغارك فتصاغرت نفسي يا أمير المؤمنين وعظم عندي ما استقبلني به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فاني قاتلك والله لا ينصرف الا احدنا فقال اذهب ثكلتك أمك فأنا من أهل بيت ما أثكلنا فارس قط قلت هو الذي تسمعه قال اختر لنفسك فإما ان تطرد لي واما ان اطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لي فاطرد وحملت عليه فظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاماً لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال يا عمر خذها اليك واحدة ولولا أني اكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسي عندي وكان الموت يا أمير المؤمنين أحب الي مما رأيت فقلت له اطرد لي فاطرد فظننت اني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك يا عمرو وثالثه ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلني احب الي ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو إنما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك في الرابعة قتلتك وانشد يقول :

وكدت أغلاظا من الايمان إن عدت يا عمرو إلى الطعان

لتجدن لهب السنان اولا فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قلت اكون صاحباً لك قال ، لست من اصحابي فكان ذلك اشد علي واعظم مما صنع فلم ازل اطاب صحبته حتى قال ويحك اتدري أين أريد ؟ قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عياناً قلت اريد الموت معك قال امضي بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حي من احياء العرب فقال يا عمرو في هذا الحي الموت الاحمر فإما ان تمسك على فرسي فانزل وآتي بحاجتي واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتيني بحاجتي فقلت بل انزل انت فأنت اخبر بحاجتك مني فرمى الي بعنان فرسه ورضيت والله يا أمير المؤمنين بان اكون له سائسا ثم مضى إلى قبة فاخرج منها جارية لم تر عيناي أحسن منها حسناً وجمالاً فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال إما ان تحميني واقود الناقة او احميك وتقود الناقة انت قلت بل اقودها وتحميني انت فرمى إلي بزمام الناقة ثم سرنا حتى اصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء ؟ قال التفت فانظر إن كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيراً فليسوا بشيء فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال اغذذ السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف وحول وجه دوابنا إلى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا بن أخي فقال ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها فقال لاحد إبنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحرث وهو يقول :

من دون ما نرجوه خضب الزابل من فارس ملثم مقاتل

ينمي إلى شيبان خير وائل ما كان يسري نحوها بباطل

ثم شد علي ابن الشيخ بطعنة قدمنها صلبة فسقط ميتاً فقال الشيخ لابنه الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحرث وهو يقول :

لقد رأيـت كيـف كانت طعنتي   والطعن للقـرم الشـديد الهمـه
والمـوت خير من فـراق خلـــتي   فقتلـــتي اليوم ولا مذلــــتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن اخي فاني لست كمن رأيت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال الشيخ : يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول :

ما ارتجـى عنـد فنـــاء عمري   سأجعل التسعين مثـــل شهر
تخافني الشجعـــان طول دهـري   ان استباح البيض فصم الظهـر

فاقبل الحرث وهو يقول :

بعـــد ارتحالي ومطـال سفــري   وقد ظفرت وشفيـت صـدري
فالموت خير من لبـاس الغـــدر   والعـار اهديه لحـــي بكـر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال أنا ابدأ فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ضرب بطنه بطعنة قدمنها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس رأس الشيخ فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعة افراس واربعة اسياف ثم أقبلت إلى الناقة فقالت الجارية يا عمرو إلى اين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رأيت ؟ فقلت اسكتي قالت ان كنت لي صاحباً فاعطني سيفاً او رمحاً فان غلبتني فأنا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما أنا بمعط ذلك وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم أقبلت تقول :

أبعـد شيخي ثم بعـد أخـــوتي   يطيب عيشي بعدهـم ولـــذتي
واصحـــبن من لم يكن ذا همسـة   هلا تكـون قبـل ذا منيـــتي

ثم أهوت إلى الرمح وكادت تنزعه من يدي فلما رأيت ذلك منها خفت إن ظفرت بي قتلتني فقتلتها فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت .

حكاية عمر بن الخطاب ومعاوية

لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام على حمار تلقاه معاوية في موكب نبيل فاعرض عنه عمر فجعل معاوية يمشي إلى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف اتعبت الرجل فاقبل عليه وقال يا معاوية انت صاحب الموكب مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم يا امير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا في بلاد لا تمنع من الجواسيس ولا بدلهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان امرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت قال ان كان الذي قلت حقاً فانه رأي اريب وان كان باطلاً فانها خدعة اديب فلا آمرك ولا انهاك عنه .

رأي سديد

كان لعبد الله بن الزبير ارض قريبة من ارض لمعاوية فيها عبيد من الزنوج لمعاوية يعمرونها فدخلوا في ارض عبد الله بن الزبير فكتب إلى معاوية اما بعد فانه يا معاوية ان لم تمنع عبيدك من ارضي والا كان لي ولك شأن فلما وصل الكتاب وقرأه معاوية دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ما ترى قال ارى ان تنفذ اليه جيشاً اوله عنده واخره عندك يأتونك برأسه قال يا بني عندي خير من ذلك علي بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يابن حوارى رسول الله (ص) وساءني والله ما ساءك والدنيا هينة عندي في جنب رضاك وقد كتبت على نفسي رقماً بالارض والعبيد واشهدت علي فيه وتضف الارض إلى ارضك والعبيد إلى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب امير المؤمنين اطال الله بقاءه فلا عدم اا أي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه اسفر وجهه فقال يا بني اذا رميت بهذا الداء دواه بهذا الدواء .

رباطة جأش

ذكر عن احمد بن ابي دؤاد القاضي أنه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الخارجي كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جيء به اسيراً فادخل عليه في يوم وقد جلس المعتصم فاعجبه شكله بعد ان دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر المعتصم اليه ورآه يمشي إلى الموت غير مكترث به فاطال المعتصم الفكرة فيه ثم استنطقهُ لينظر في عقله وبلاغته فقال يا تميم إن كان لك عذر فأت به فقال اما اذا اذن امير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم به شعث المسلمين واخمد به شبهاتِ الباطل وانار به سبل الحق فالذنوب يا امير المؤمنين تخرس الالسن وتصدح الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك وهو الاليق بشيمتك الطاهرة ثم انشد :

اری الموت بين السيف والنطع كامنا	يلاحظني من حيث ما اتلفت
وأكثر ظني انك اليوم قاتلي	واي امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من ان اموت وإنني	لا علم ان الموتِ شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم	واكبادهم من حسرة تتفتت
كاني اراهم حين انعي اليهموا	وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة	اذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره	واخر جذلان يسر ويشمت

فلما سمعها المعتصم بكى وقال ان من البيان لسحرا لقد كاد ان يسبق السيف العذل وقد وهبتك لصبيتك واعطاه خمسين الف درهم .

حكاية غريبة

كان بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى العمر عداوة عظيمة وكان علي بن عيسى ضامناً اعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها اربعون الف دينار فالح المأمون عليه بطلبها إلى ان قال لعلي بن صالح الحاجب امهله ثلاثة ايام فان احضر المال والا فاضربه بالسياط حتى يؤدي المال او يتلف فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيساً من نفسه وهو لا يدري وجهاً يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت ان يعينك على امرك فقال له على ما بيني وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل اريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل واوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال ارجو ان يكفيكه الله تعالى ولم يزد على ذلك شيئاً فنهض علي بن عيسى وخرج آيساً نادماً على قصد غسان وقال لكاتبه ما افدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر إلى امير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليه ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف اصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضربه بالسياط بما اطار عقله واذهب لبه فان رأي أمير المؤمنين على احسانه وكرمه ان يمن ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف إلى ان حط عنه النصف واقتصر على عشرين الف دينار فقال غسان على ان يجدد عليه امير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلقه تقوي نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فاجابه المأمون إلى ذلك قال فيأذن امير المؤمنين ان احمل الدواة إلى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة إلى امير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين الف دينار وارسلها إلى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند امير المؤمنين الا لتوفر عليه وينتفع بها فامض بها اليه فلما ردها كاتبه إلى علي بن عيسى علم قدر غسان فلم يزل يخدمه إلى اخر العمر .

ان الله هو الرزاق

خلف عمر بن عبد العزيز احد عشر ابناً واصاب كل ابن ثلاثة أرباع دينار وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابناً واصاب كل ابن الف دينار فاما اولاد عمر بن عبد العزيز فما رؤى احد منهم الا وهو غني منهم واحد جهز من ماله مائة الف فارس على مائة الف فرس في سبيل الله تعالى وما رؤى احد من اولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم يوقد في الاتون .

لطيفة نادره

نقل الشيخ العلامة زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى قال لما دخل دمشق في أيام رئيس القضاة نجم الدين بن مصري الشافعي رحمه الله فاجلسه في صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زي اهل المعرفة فاستزرا به الشهود فحضر كتاب مشترى فقال منهم اعطو المعري يكتبه فقال الشيخ زين الدين انا اكتبه نظماً او نثراً فزاد استهزاؤهم فقالوا نظماً فاخذ القرطاس وكتب : —

بسم اله الخلق هـذا ما شـــترى ... محمد بن يونـس بن سنضرا
من مـالك بن احمـــد بن الازرق ... كلاهمـــا قد عرف من جلق
فباعه قطعـــة ارض واقعـــــه ... بكورة الغوطـــة وهي جامعــه
لشجـر مختلـــف الاجنـــاس ... والارض في البيـــع مع الاواس
وذرع هذي الارض بالـــذراع ... عشرون في الطـــول بلا نـــزاع
وذرعها في العرض ايضـاً عشـرة ... وهي ذراع باليـــــد المعتبرة
وحدها من قبلـــة مـلك التقــــى ... وحائز الرومـــي حـــد المشـرق
ومن شمـــال ملك اولاد عـــــلي ... والغرب ملك عامـــل بن جهبـل
وهـــذه تعـــــرف مـــن قديـــم ... بانها قطعة بيـــت الرومـــي
بيعا صحيحـــا لازماً شرعيـــاً ... ثم شراء قاطعـــاً مرعيــــــاً
بثمن مبلغـــه من فضــــــة ... أوزانـــه جيـــــدة مبيضـــة
جارية للنـــاس في المعاملـــــة ... الفان منهـا النصف الف كاملـــة

قبضها البائـــع منـــه وافيـــه فعادت الذمـــة منـــه خاليـــه
وسلم الارض إلى من اشـــترى فقبض القطعـــة منـــه وجـــرى
بينهمـــا بالبـــدن التفـــرق طوعاً فمـــا لاحد تعلـــــق
ثم ضمـــان الدرك المشهـــــور فيه على بائعـــــه المذكـــور
واشهد عليهمـــا بذلـــك في رابع عشر رمضـــان الاشرف
من عام سبعمائـــــة وعشـــرة من بعد خمـــس تلوهـــا للهجرة
والحمـــد لله وصـــلى ربي على النبي والـــه والصحـــب
يشهـــد بالمضمـــون من هذا عمر ابن المظفـــر المعري اذ حضـــر

فلما فرغ الشيخ زين الدين عمر بن الوردي وتأمل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا له بالفضل واعتذروا اليه واجلسوه في الصدر من المجلس ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظماً وسألوه ذلك فكتب عـن شخص منهم يدعى ابن رسول .

قد حضر العقـــد لـذاك احمد بن رسول وبـــذاك يشهـــد

معاوية والطرماح بن الحكم

جلس معاوية يوماً بين اصحابه اذ أقبلت قافلتان من البرية فقال بعض من كان عنده انظروا هؤلاء القوم وائتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا امير المؤمنين إحداهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشاً يأتوننا واما اهل اليمن فينزلون في اماكنهم إلى ان تأذن لهم في الدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا أهل قريش لم أخرت أهل اليمن وقربتكم ؟ قالوا لا والله يا أمير المؤمنين قال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد إذا دخلوا غداً واخذوا اماكنهم من الجلوس أن أقوم فيهم نذيراً والقي عليهم من المسائل ما أقل به اكرامهم وارخص به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم من الجلوس وسألوا عن شيء فلا يجيبهم احد غيري .

وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون يا أهل اليمن لم أخركم بن هند وقدم قريشا ؟ قالوا لا قال لانه غداً سيقوم فيكم نذيراً ويلقى عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذتم أماكنكم من الجلوس وسألكم عن شيء فلا يجيبه احد غيري فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا أماكنهم فنهض معاوية قائماً على قدميه وقال ايها الناس من تكلم قبل العرب وعلى من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا أمير المؤمنين فقال لماذا ؟ فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة ارسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي وهو جدنا فقرأ العربية وتداولتها قومه من بعده إلى يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زماناً ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من اقوى العرب ايماناً ومن شهد له بذلك ؟ فقال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ؟ قال لان الله بعث محمداً (ص) فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنوناً فآويناه ونصرناه فانزل الله (والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً وكان النبي (ص) محبناً لنا متجاوزاً عن سيئاتنا فلم لم تفعل انت كذلك ؟ كأنك خالفت رسول الله (ص) قال فسكت زماناً ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من افصح العرب لساناً ومن شهد له بذلك ؟ قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك ؟ قال لان امرأ القيس بن حجر الكندي منا قال في بعض قصائده:

يطعمون الناس غبا في السنين المحلات

في جفان كالجواب وقدور راسيات

وقد تكلم بالفاظ جاء مثلها في القرآن وشهد له رسول الله (ص) بذلك قال فسكت معاوية زماناً وقال أيها الناس من اقوى العرب شجاعة وذكرا ومن شهد له بذلك ؟ قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك ؟ قال لان منا عمرو بن معد يكرب الزبيدي كان فارساً في الجاهلية والاسلام وشهد له النبي عليه افضل الصلاة والسلام بذلك فقال له معاوية واين انت وقد اتى به مصفداً بالحديد فقال له الطرماح ومن اتى به مصفداً قال معاوية اتى به علي قال الطرماح والله

لو عرفت مقداره لسلمت اليه الخلافة ولاطمعت فيها ابدا فقال معاوية اتحجني يا عجوز اليمن ؟ قال الطرماح نعم احجك يا عجوز مضر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت نبيّه سليمان بن داود عليهما السلام وعجوز مضر جدتك التي قال الله في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد قال فسكت معاوية زماناً ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيراً من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك واعطاه واحسن اليه .

سودة ومعاوية

يروى عن الشعبي قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد على معاوية بن ابي سفيان فاذن لها فلما دخلت عليه قال لها يا بنت الاسد الست القائلة :

شمر كفعل ابيك يا بن عماره   يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه   واقعد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد   علم الهدى ومنارة الايمان
وقد الجيوش وسر أمام لوائه   وارم بابيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاوية وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر ؟ قال فما حملك على ذلك ؟ قالت : حب علي واتباع الحق قال : والله ما ارى عليك من أثر علي شيئاً قالت انشدك الله يا معاوية لا تذكر ما مضى قال : وما مثلك ومقام اخيك يسيئني وما لقيت من اخيك ؟ قالت صدقت يا معاوية لم يكن أخي ذميم المقام ولا خبيا وهو والله كقول الخنساء .

وان صخرا لتأتم الرجال به   كأنه علم في رأسه نار

وانا أسألك يا معاوية إعفاءك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك ؟ قالت يا معاوية إنك اصبحت للناس سيداً ولامورهم والياً والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من يغرك ويبطش بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدرسنا درس العصفر ويسومنا الخسف ويسلبنا الحيل هذا ابن ارطأة قدم علينا فقتل رجالي واخذ اموالي ولولا الطاعة لكان فينا عز

ومنعة فإما عزلته فشكرناك واما أقررته فعرفناك فقال لها ابقولك تهدديني ؟ هممت ان احملك على قتب جمل اشرس واسيرك اليه لينفذ فيك امره فاطرقت وبكت وانشدت تقول :

صلى الاله على روح تضمنهـــا   قبر فاصبح فيــه الحق مدفونــا .
قد حالـف الحق لا يبغـي به بدلا   فصار بالحق والايمــان مقرونا

قال ومن ذاك ؟ قالت يا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ولم ؟ قالت اتيته في رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته قائماً يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برأفة ورحمة ألك حاجة فأخبرته فبكى ثم قال اللهم اشهد علي وعليهم أني لم اولهم وآمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم اخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجواب فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فاخذته منه واوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل في حالها فقالت الي خاصة ام لي ولقومي ؟ قال بل لك قالت اذا الفحشاء واللؤم هي والله اما عدلاً شاملاً والا فانا كسائر قومي قال اكتبوا لها بحاجتها هي وقومها .

حكاية الخليفة المنصور وحبسه لعمه عبد الله

قيل ان الخليفة المنصور صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس امور مؤلمه لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان والياً على الكوفة ما افسد عقيدته فيه واوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته إلى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى واجراه على عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته واقبل على عيسى وقال له يا بن العم

اني مطلعك على امر لا اجد غيرك من اهله ولا ارى سواك مساعدا لي على حمل ثقله فهل انت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى بن موسى انا عبد امير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على ما بعضه يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سراً ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمراً ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله الزمه القصاص وسلمه إلى اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصاً فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما اخذت عمي وفكرت في قتله رأيت من الرأي ان اشاور في قضيته من له رأي عسى ان اصيب الصواب في ذلك فاحضرت يونس بن قرّة الكاتب وكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع إلى عمه عبد الله وامرني بقتله واخفاء امره فما رأيك في ذلك وما تشير به فقال لي يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني ارى لك ان تدخله في مكان داخل دارك وتكتّم امره عن كل احد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغاليق وابواب واظهر لامير المؤمنين انك قتلته وانفذت أمره فيه وانتهيت إلى العمل بطاعته فكأني به اذا تحقق منك ذلك أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره انكر أمره لك واخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت لامير المؤمنين اني نفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه واستقر في نفسه انني قد قتلت عمه عبد الله دس الي عمومته اخوة عبد الله وحثهم علي ان يسألوه في اخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم إن حقوقكم تقتضي باسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان إلى من هو في مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي إلى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك إلى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور وقد سألني فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فاتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين الم تأمرني بقتله والمبادرة إلى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو اردت قتله لاسلمته إلى من هو بصدد

ذلك ثم اظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتله مدعياً اني امرته بقتله وقد كذب علي قالوا يا امير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذوني إلى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه ليضربني به فقلت له يا عم افاعل انت قال اي والله كيف لا اقتلك وقد قتلت اخي فقلت لهم لا تعجلوا وردوني إلى أمير المؤمنين قال فردوني اليه فقلت يا امير المؤمنين انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته علي عصمني الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حي سوى فان امرتني بدفعه اليهم دفعته الساعة فاطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصاراً وان انفراده بتدبيره قارف خساراً ثم رفع رأسه وقال ائتنا به الساعة فمضيت واحضرته فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى ارى فيه رأياً قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله في بيت أساسه قد بني على ملح ثم ارسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة .

أعجاب السفاح بمنازعة الرجال

كان العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضاً فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخزمة الكندي وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مصر واليمن فقال لهم ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكاً ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخراً عن اول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شي له خصر الا اليهم ينسب ان سئلوا اعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربه وغيرهم المتعربه فقال ابو العباس ما أظن التميمي رضي بقولك ثم قال ما تقول يا خالد قال ان اذن لي امير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب احداً وقال اخطأ المقتحم بغير علم والناطق بغير

صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عل بخير الانام واكرم الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضى والولي واسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطليناه ثم اقبل خالد على ابراهيم فقال لك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجحمجمه قال فما اسم السن عندكم قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصناره قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب عندكم قال الكنع قال : فأنت عالم بكتاب الله قال نعم قال فان الله يقول انا أنزلنا قرآناً عربياً وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا انزل قال تعالى والسن بالسن ولم يقل الميدن بالميدن وقال العين بالعين ولم يقل الجحمجمة بالجحمجمة وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال تعالى جعلو اصابعهم في اذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال فاكله الذئب ولم يقل اكله الكنع ثم قال ابراهيم اني اسألك عن اربع ان اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا او منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا او فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا او لكم قال لكم قال فاذهب فما بعد هؤلاء فهو لكم بل ما انتم إلا سائس قرد او دابغ جلد او ناسج برد قال فضحك ابو العباس واقر الخالد وحباهما جميعاً .

حكاية عجيبة

جلس رجل يأكل هو وزوجته وبين يديها دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين يديها دجاجة مشوية واذا بسائل بالباب فقال الرجل لزوجته ادفعي للسائل

الدجاجة فخرجت إليه فإذا هو زوجها الأول فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي تبكي فسألها زوجها عن سبب بكائها فاخبرته ان السائل زوجها الاول وذكرت قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الاول فقال لها انا والله ذلك السائل .

حكاية عابد افتتن بامرأة

ذكر ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقفت عليه امرأة جميلة فسألته ان يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها واقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فاعجبته فملكته قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال إلى اين قالت إلى حيث اريد فقال لها هيهات صار المراد مريداً والاحرار عبيداً ثم جذبها فادخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بسبعة أيام في المعصية وبكى حتى غشي عليه فلما افاق قالت له يا هذا والله انت ما عصيت الله مع غيري وانا ما عصيته مع غيرك واني ارى في وجهك اثر الصلاح فباالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرني قال فخرج هائماً على وجهه فآواه الليل إلى ضربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب من العميان راهب يبعث اليهم في كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بعشرة ارغفة على عادته كل ليلة فمد ذلك الرجل العاصي يده واخذ رغيفاً فبقي منهم واحداً لم يأخذ شيئاً فقال اين رغيفي فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال ابيت طاوياً فبكى الرجل العاصي وناول الاعمى اا غيف وقال لنفسه أنا احق بان ابيت طاوياً لانني عصيت الله وهذا مطيع فنام واشتد جوعه حتى اشرف على الهلاك فامر الله تعالى ملك الموت ان يقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعاً وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فاوحى الله تعالى اليهم ان زنوا عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة ايام فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا مضية سبعة ايام فوزنوها بالرغيف الذي آثر به على نفسه فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته .

فطانة وذكاء

حكي ان القاضي الفاضل كان له صديق وكان صديقه هذا قريباً من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فهرب إلى بلاد التتر وتوصل إلى ان صار وزيراً عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصلون إلى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للقاضي اكتب اليه كتاباً عرفه فيه أنني ارضى عليه واستعطفه غايـــة الاستعطاف إلى ان يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتاباً واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ص) وكتب انّ شاء الله تعالى كما جرت العادة به في الكتب فشدد ان في ان شاء الله واوقف الملك على الكتاب فقرأه في غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب إلى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما اراد ان ينتهي من الكتاب كتب انا شاء الله تعالى ومد النون وجعل في آخرها الفا واراد بذلك انا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها فلما وصل الكتاب إلى الفاضل فهم الاشارة ثم اوقف الملك على الجواب بخطه ففرح الملك بذلك .

فتنة ملك بامرأة وتخلصها منه

حكى ان بعض الملوك طلع يوماً على سطح قصره يتفرج فلاحت له التفاتة فرأى امرأة في سطح دار مجاورة لقصره لم ير الراي احسن منها فالتفت إلى بعض جواريه فقال لها لمن هذه الدار قالت يا مولاي هذه لغلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بجمالها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتني بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز امره وبات ليلته فلما اصبح ودع اهله وسار طالباً لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك واما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعاً وتوجه إلى دار فيروز مختفياً

فقرع الباب قرعاً خفيفاً فقالت امرأة فيروز من بالباب قال انا الملك سيد زوجك ففتحت له الباب فدخل وجلس فقالت له ارى مولانا اليوم عندنا فقال زائر فقالت اعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيراً فقال لها ويحك انني انـا الملك سيد زوجك وما اظنك عرفتني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل في قولهم : —

سأترك ماءكم من غــير ورد	وذاك لكــثرة الوراد فيــه
اذا سقط الذبـاب على طعـــام	رفعت يدي ونفسي تشتهيــه
وتجتنب الاســود ورود مـــاء	اذا كان الكــلاب ولغـن فيــه
ويرتجـع الكريم خميــص بطــن	ولا يرضى مساهمـــة السفيــه

وما احسن ما قال الشاعر يا مولاي .

قــل للذي شفــه الغرام بنـــا	وصاحــب الغـدر غير مصحوب
والله لا قــال قائـــــل أبــــداً	قد أكل الليــث فضلـة الذيـب

ثم قالت ايها الملك تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وترك نعاله في الدار خجلا هذا ما كان من الملك واما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر انـه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاماً واخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز إلى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة واتى بها إلى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي إلى زيارة بيت ابيك قالت وما ذاك قال ان الملك انعم علينا واريد ان تظهري لاهلك ذلك قالت حباً وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت إلى بيت ابيها ففرحو بها وبما جاءت به معها فاقامت عند اهلها مدة طويلة فلم يذكرها زوجها ولا الم بها فاتى اليه اخوها وقال له يا فيروز اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما ان نتحاكم واياك عند الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها علي حقاً فطلبوه إلى الحكم فأتى

معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالساً إلى جنبه فقال اخو المرأة ايد الله مولانا قاضي القضاة اني أجرت هذا الرجل بستاناً سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة واشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وخرب بئره فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له ما تقول فقال القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن اريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوماً من الايام فوجدت فيه اثر الاسد فخفت ان يغتالني فحرمت دخول البستان اكراماً للاسد قال وكان الملك متكأً فاستوى جالساً وقال يا فيروز ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً ولم يلث فيه الاسد غير لحظة يسيرة وخرج من غير باس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولا اشد احترازاً من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله اعلم وهذا مما يأتي به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز .

حكاية في المشورة

حكي ان رجلا من اهل يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي إلى ما لا بد منه وضاقت علي الارض ولم اهتد إلى ما اصنع فشاورت من اثق به من الموده والرأي فاشار علي بقصد المهلب بن ابي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقه وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك إلى استشارة غيره والله ما زادني على ما ذكره الصديق الاول فرأيت أن قبـول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريـق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء وضربت اكباد الابل من يثرب فانه اشار علي بعض ذوي الحجى والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فان قمت بها فأمل لذلك انت وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فاخذني معه فوجدت في خزانته ثمانين الف درهم فدفعها لي فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحاً وسروراً ثم عاد الحاجب به اليه مسرعاً فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم

ايها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من اشار عليك بقصدنا قال الاسلمي فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته انشدته وانا واقف بين يديه .

يا من على الجود صاغ الله راحته — فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياه اهل الارض قاطبة — فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح — لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت إلى المدينة فقضيت ديني ووسعت على اهلي وجازيت المشير علي اوعاهدت الله تعالى ان لا اترك الاستشارة في جميع اموري ما عشت .

حكاية عجيبة

حكى ابو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئاً في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وقال لي شيخ من اشياخ الصعيد اعرف هذه النخله وقد شاهدتها وهي تحمل عشرة ارادب ولم يكن في ذلك مثلها وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل وبية بدينار .

حكاية عن الطرطوشي ايضاً

قال شهدت في الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد إلى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية ان خيراً فخير وان شراً فشر وفي كتب التواريخ قالوا كان الناس اذا صبحوا في زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما اشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه

عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح وكان الناس يتحدثون ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المناكح والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما اشبه ذلك فينبغي للامام ان يكون على طريقة الصحابة والسلف رضي الله عنهم اجمعين ويقتدي بهم في الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملاك مقرب .

معاوية بن ابي سفيان واعرابي

جلس معاوية في مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات الهواجروكان يوماً شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل في مشيته حافياً فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاج إلى الحركة في هذا الوقت وفي مثل هذه الساعة ؟ فقال بعضهم لعله يقصد أمير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدي لاجل شيء لاعطيته واستجلب الاجر به او مظلوماً لا نصرنه يا غلام قف بالباب فان طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول علي فخرج فوافاه فقال ما تريد ؟ قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل ؟ قال من تميم قال فما الذي جاء بك في هذا الوقت ؟ قال جئتك مشتكياً وبك مستجيرا قال ممن ؟ قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد :

معاوي يا ذا الجـود والحلم والبذل ... ويا ذا النـدى والرشـد والنبـل
أتيتك لما ضاق في الارض مذهبي ... فياغوث لا تقطع رجائي من العدل
وجدلي بانصاف من الجائر الـذي ... بلاني بشيء كان أيسره قتـلي
سباني ابن سعدى وانبرى لخصومتي ... وجار ولم يعدل واغصبني اهـلي
وهـم بقتـلي غير ان منيــتي ... تأنت ولم استكمل الرزق من اجلي

قال فلما سمع معاوية كلامه والنار تتوقد من فيه قال له مهلا يا اخا العرب اذكر قصتك وابنْ لي عن أمرك فقال يا أمير المؤمنين كانت لي زوجة وكنت لها محباً وبها كلفا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لي جذعة من الابل كنت استعين بها على قوام حالي وكفاية اودي فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقيت لا املك شيئاً فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهاناً ثقيلاً على الذي يألفني وابعدني من كان يشتهي قربي وازور من لا يرغب في زيارتي فلما علم ابوها ما بيْ من سوء الحال وشر المآل أخذها مني وجحدني وطردني واغلظ علي فاتيت إلى عاملك مروان بن الحكم راجياً لنصرتي فلما احضر اباها وسأله عن حالي قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها ؟ ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لي خصماً وعلي منكراً واظهر لي الغضب وبعث بي إلى السجن فبقيت كانما خررت من السماء او استهوت بي الريح في مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة الاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي ؟ فرغب ابوها في البذل واجابه إلى ذلك فلما كان من الغد بعث الي واحضرني ونظر الي كالاسد الغضبان وقال طلق سعاد فقلت لا فسلط علي جماعة من غلمانه فاخذوني يعذبوني بانواع العذاب فلم أجد لي بداً من طلاقها ففعلت فاعادني إلى السجن فمكثت فيه إلى ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقني وقد اتيتك راجياً وبك مستجيراً واليك ملتجئاً وانشد يقول :

في القلــب مني غــرام	للنـــار فيــه استعـــار
والجســم مرمــى بسهــم	فيــه الطبيــب يحــار
وفي فـــؤادي جمــر	والجمــر فيــه شــرار
والعــين تهطــل دمعــاً	فدفعهـــا مــدرار
وليــس الا بـــر بي	وبالامــير انتصــار

قال ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشياً عليه واخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترأ على حرم المسلمين ثم قال لقد أتيتني يا اعرابي بحديث لم اسمع بمثله قط

ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان بن الحكم كتاباً يقول فيه انه قد بلغني أنك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان والياً ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاماً ثم انشد يقول :

وليت أمراً عظيماً لست تدركــــه   فاستغفر الله من فعل امرىء زاني

وقد اتانا الفتى المسكين منتحبـــاً   يشكو الينا يبـــث ثم احـزان

اعطى الاله يمينـــاً لا يكفرهـــا   شيء وابرأ من ديني وايمـــاني

ان انـت خالفتني فيمـــا كتبت به   لاجعلنك لحمـــاً بين عقبـــان

طلـق سعـاد وعجلهـا مجهـــزة   مع الكميت ومع نصـر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبقه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام إلى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتاباً يقول فيـه الابيات :

لا تعجلن أمير المؤمنـــــين فقد   اوفى بنذرك في سر واعـــلان

وما أتيت حرامـــاً حين أعجبـني   فكيف أدعى باسم الخائن الزاني

اعذر فإنك لو ابصرتهـــا لجـرت   فيك الاماني على تمثـال انسـان

فسوف يأتيك شمس ليس يدركها   عند الخليفة من انس ولا جـــان

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى الرسولين وسارا حتى وصلا إلى معاوية وسلما اليه الكتاب فقرأه وقال لقد أحســـن في الطاعة واطنب في ذكر الجارية ثم امـــر باحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال علي بالاعرابي فأتى به وهو في غاية من تغير الحال فقال : يا اعرابي هل لك عنها من سلوه واعوضك عنها ثلاث جوار نهد ابكار كانهن الاقمار مع كل جارية الف دينار واقسم لك في بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك قال : فلما

سمع الاعرابي كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه مات منها فقال له معاوية : ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابي استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد :

لا تجعلني فـداك الله من مــلك ‏ ‏ ‏ كالمستجير من الرمضـاء بالنـار
اردد سعــاد على حيران مكتئـب ‏ ‏ ‏ يمسى ويصبح في هم وتذكـار
اطلـق وثاقي ولا تبخـل علي بهـا ‏ ‏ ‏ فان فعلـت فاني غير كفــار

ثم قال يا امير المؤمنين لو اعطيتني الخلافة ما اخذتها دون سعاد وانشد

ابى القلب الاحب سعدى وبغضت ‏ ‏ ‏ علي نســاء ما لهـــن ذنــوب

فقال معاوية انك مقر بانك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال ما تقولين يا سعدى ايما احب اليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وامواله وما ابصرتيه عنده او مروان بن الحكم في تعسفه وجوره او هذا الاعرابي في جوعه وفقره فانشدت تقول :

هذا وان كان في جوع واضــرار ‏ ‏ ‏ أعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج او مروان عاملـه ‏ ‏ ‏ وكل ذي درهم عندي ودينـار

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تمل وانا احق من يصبر معه على الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له ووفائها معه فدفع لها عشرة الاف درهم ودفع مثلها للاعرابي واخذها وانصرف .

رؤيا ملك اصبحت حقيقة

حكى ابو محمد الحسين بن محمد الصالحي قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد ان اكل فانتبه منزعجاً وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم اعينوني والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدراً في سفينة فارغة اقبضوا عليه وائتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بالسفينة من يحفظها وصعدنا به إلى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحراً في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم ار مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثيرة وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها واخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم اجسر على حمل سلبها إلى داري لئلا يفشوا الخبر علي فعولت على الهروب والانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال واين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضر به فأمر بتغريق الملاح ثم امر ان ينادى ببغداد من خرجت له امرأة إلى المشرعة الفلانية سحراً وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني ثلاثة من اهلها واعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاي من اعلمك او اوصى اليك بهذه الحاله وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامي رجلا شيخاً ابيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد اول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها ظلماً وسلبها ثيابها واقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم .

حكاية اسرائيلية لها شواهد

في الاثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه ان رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صياداً يصطاد السمك ويقوت منه اطفاله وزوجته فخرج يوماً للصيد فوقعت في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم

اخذها ومضى إلى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فاراد اخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة واخذ السمكة منه غصباً بلا ثمن فدعا عليه الصياد وقال الهي جعلتني ضعيفاً وجعلته قوياً عنيفاً فخذ لي بحقي منه عاجلاً فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله وسلمها إلى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها وعضته في اصبعه عضة طار منها عقله وصار لا يقربها قراره فقام وشكا إلى الطبيب الم يده وما حل به فلما رآها الطبيب قال له دواؤها ان تقطع الاصبع لئلا يسري الالم إلى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الالم إلى الكف واليد وازداد الوجع وارتعدت من الخوف فرائصه فقال له الطبيب ينبغي ان تقطع اليد إلى المعصم لئلا يسري الالم إلى بقية الجسم فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الالم إلى العضو الاخر الذي يليه فخرج هائماً على وجهه مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فاخذه النوم عندها فنام ورأى في منامه قائلاً يقول يا مسكين إلى كم تقطع اعضائك امض إلى خصمك الذي ظلمته فارضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم ان الذي اصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد واتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيئاً من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه فسكن في الحال من الالم وبات تلك الليلة ورد الله عليه صحته .

مكافأة سخية

حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوماً عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام امر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من اصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما احمد بن ابي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت إلى الفضل ابنه وقال يا بني ان لابيك مع أب هذا الفتى حديثاً فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني احدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل اعزك الله يا ابي أمرتني ان اذكرك

حديث ابي خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم ابوك من العراق ايام المهدي كان فقيراً لا يملك شيئاً فاشتد بي الامر إلى ان قال لي من في منزلي إنا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة ايام ما عندنا شيء نقتات به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديداً وبقيت ولهان حيران مطرقاً مفكراً ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه لي فاخذته ودفعته إلى بعض اصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهماً فدفعتها إلى اهلي وقلت انفقوها إلى ان يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد إلى باب ابي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكباً فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلاً بسبعة عشر درهماً فنظر الي نظراً شديداً وما اجابني جواباً فرجعت إلى أهلي كسير القلب واخبرتهم بما اتفق لي مع ابي خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت إلى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك واطلعته على مكنون امرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضي الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت إلى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم التفت لقوله فاستقبلني اخر فقال كمقالة الاول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال لي اين تكون قد أمرني ابو خالد باجلاسك إلى ان يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه إلى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان فاحضرا فقال لهما الم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر الف الف درهم قالا نعم قال الم اشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشترط شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في امر يكون لك فيه الربح الهنيء فدخلنا مسجداً فقالا لي انك تحتاج في هذا الامر إلى وكلاء وامناء وكيالين واعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك ان تبيعنا شركتك بما نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة الف درهم فقلت لا افعل فما زالا يزيدان وانا لا ارضى إلى ان قالا لي ثلاثمائة الف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى اشاور

ابا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه واخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتما على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فأقبضاه المال الساعة ثم قال لي اصلح امرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار امري إلى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما اجد له مكافأة غير اني اعزل نفسي واوليه ففعل ذلك رضي الله عنه وهكذا تكون المكافأة .

حكاية اخرى في المكافأة

حكى عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوماً مجلس امير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكربه الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت اسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال انا من دمشق فقلت جزي الله دمشق واهلها خيراً فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت اتعرف فلاناً قال ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى اهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت في جملة القوم فبينما انا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت اعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت اغثني اغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا

وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارتجف ما تحماني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتّى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت إلى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيراً فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجلها وافرد لي مكاناً في داره ولم يحوجني إلى شيء ولم يفتر عن تفقدي فاقمت عنده اربعة اشهر في ارغد عيش واهنئه إلى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال اثرها فقلت له اتأذن لي في الخروج حتّى اتفقد حال غلماني فلعلي اقف منهم على خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم ار لهم اثر فرجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال علام تعزم فقلت عزمت على التوجه إلى بغداد فقال القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وها أنا قد اعلمتك فقلت له انك تفضلت على هذه المدة ولك علي عهد الله اني لن انسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا غلاماً له أسود وقال له اسرج الفرس الفلاني ثم جهز له السفر فقلت في نفسي اظن أنه يريد ان يخرج إلى ضيعة او ناحية من النواحي فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاء في السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف اصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما اكري به مركوباً ثم قمت فاذا هووامرأته يحملان لفافة من افخر الملابس وخفين جديدين والة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع إلى نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة الاف درهم إلى الفرس التي كان جهزه لي وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك واقبل هو وامرأته يعتذران لي من التقصير في امري وركب معي يشيعني وانصرفت إلى بغداد وانا اتوقع خبره لافي بعهدي له في مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم اتفرغ ان ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا انا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد امكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكر تفاصيل الاسباب حتّى اثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم قلت

له فما الذي اصارك إلى ما ارى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في ايامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد واخذت انا وضربت إلى ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي إلى امير المؤمنين وامري عنده عظيم وخطبي لديه جسيم وهو قاتلي لا محالة وقد اخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف إلى اهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت ان تجعل من مكافأتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى اوصيه بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لي بوفاء عهدك قال : — العباس قلت يصنع الله خيراً ثم احضرت حداداً في الليل فك قيوده وازال ما كان فيه من الانكال وادخلته حمام داري والبسته من الثياب ما احتاج اليه ثم سيرت من احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة من الصناديق ومن الكسوه كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لي بدرة عشرة الاف درهم وكيساً فيه خمسة الاف دينار وقال لنائبه في الشرطه خذ هذا الرجل وشيعه إلى حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وان انت احتججت باني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد واقتل فقال لي انج بنفسك ودعني ادبر امري فقلت والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من خبرك فإن احتجت إلى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطه ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا فان انا سلمت في غداة غد اعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأناشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان اثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفناً قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي ويقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فقلت يا امير المؤمنين اسمع مني فقال لله علي عهد لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك ما تريد ان تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة

جميعها وعرفته انني اريد ان افي له واكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني فاكون قد وفيت وكافأت واما ان يقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وهاكفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيراً انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا امير المؤمنين انه ها هنا قد حلف ان لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت إلى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منه اعظم من الاولى اذهب الان اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني حتى اتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي امير المؤمنين اقبل عليه وادناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال بالآتها وعشرة بدر وعشرة الاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وامره بمكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابة يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم .

حكاية الملك بهرام ولغة البوم

يحكى ان بهرام لما ولي الملك بعد ابيه أقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد لا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد من يده وخربت في ايامه وقلت العماره وخلت بيوت الأموال فلما كان في بعض الايام ركب إلى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذان وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت من امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى أن احداً من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر

المصوت في الليل البهيم ؟ فقال الموبذان ايها الملك انا ممن خصة الله بذلك فقال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر ؟ فقال الموبذان هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها متعيني بنفسك حتّى يخرج من بيتنا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت ؟ إن الذي تدعونني اليه لي فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل والآجل الا اني اشترط عليك خصالا ان اعطيتها أجبتك إلى ذلك فقال لها الذكر وما تطليبنه مني ؟ قالت ان تعطيني من خرابات امهات الضياع عشرين قرية مما خربت في ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذي قال الذكر ؟ قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت ايام هذا الملك السعيد اقطعك منها الف قرية خراب فما تصنعين بها ؟ قالت في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من اولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا أسهل أمر سألتنيه وانا مليء بذلك ما حيي هذا الملك فلما سمع الكلام من الموبذان تأثر في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان فقال : ايها القائم بأمر الدين الناصح للملك والمنبه له عما أغفله من أمور ملكه واضاعية بلاده ورعيته ما هذا الكلام الذي خاطبتني به ؟ فقد حركت مني ما كان ساكناً فقال الموبذان صادفت من الملك السعيد وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظة على لسان الطائر عند سؤال الملك اياي عما سأل فقال له الملك أيها الناصح اكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه ؟ فقال أيها الملك إذ الأمر لا يتم الا بالشريعة والقيام لله ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيماً وهو الملك فقال الملك أما ما وصفت فحق فاين لي عما اليه تقصد واوضح لي في البيان قال ايها الملك انك عمدت إلى الضياع فاقطعتها الخدم واهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من اطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة

ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت إلى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرة الاموال عند الحياة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتّى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل انتهى .

قصة هارون الرشيد مع جارية

يحكى ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح أبان نهديها كأنهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني إلى غد حتّى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع أحداً يدخل علي الا فلانة وانتظرها فلم تجيء فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا أمير المؤمنين (كلام الليل يمحوه النهار) فقام واستدعى من بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا علي (كلام الليل يمحوه النهار) فقال الرقاشي أنا قائل في ذلك ثلاثة ابيات فانشأ يقول :

أتسلوها وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما ... فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو مصعب وأنا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول :

أما والله لو تجدين وجدي ... لما وسعتك في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبرى ... ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشأ يقول :

وخود أقبلـت في القصر سكرى	ولكن زين السكـر الوقـار
وهز الريح اردافـاً ثقـالا	وغصنـا فيه رمـان صغـار
وقد سقـط الردا عـن منكبيهـا	من التخميش وانحـل الازار
فقلت الوعـد سيدتي فقالـت	كلام الليـل يمحوه النهـار

فقال هارون الرشيد قاتلك الله كانك معنا او مطلعاً علينا وامر لكل بخلعة سنية وخمسة الاف درهم ولابي نواس عشرة الاف درهم إنتهى .

حكاية اخرى

قيل ان هارون الرشيد دخل يومـاً قبل الظهر في مقصورة جارية تسمـى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى انه لم ير من جسدها شيئاً فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد إلى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء ؟ قالوا له ابو نواس وبشار فقال ليحضرا فقال ليقل كل منكمـا ابياتاً توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول :

تحببتكم والقلـب صـار اليكم	بنفسي ذاك المنـزل المتحبـب
اذا ذكروا الهجران لا عـن ملالة	وذكراهم ينمي الي محببـا
وقالوا تحببنـا ولا قـرب بيننـا	فكيف وانتم حاجتي تتجنبـوا
على أنهم أحلى من الشهـد عندنـا	واعذب من مـاء الحيـاة واطيـب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما في نفسي فقـل انت يا أبو نواس فجعـل يقول :

نفت عنها القميـص لصب مـاء	فورد خدودها فرط الحيـاء
وقابلـت الهواء وقـد تعـرت	بمعتـدل ارق من الهبـاء
ومدت راحـة كالمـاء منهـا	إلى مـاء معـد في انـاء
فلمـا ان قضت وطـرا وهمت	على عجـل لتأخـذ للرداء

رأت شخص الرقيب على التداني فاسبلت الظلام على الظياء
وغاب الصبح منها تحت ليل فظل الماء يجري تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها كأحسن ما تكون من النساء

فقال هارون الرشيد : سيفا ونطعا فقال له ابو نواس ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال أمعنا كنت ؟ قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي فأمر له باربعة الاف درهم وصرفه .

أرق امير المؤمنين هارون الرشيد

ارق هارون الرشيد ذات ليلة ارقاً شديداً فقام من فراشه وتمشى من مقصورة إلى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال : علي بالاصمعي فارسل اليه فلما حضر اعلم الخليفة فاذن له واجلسه ورحب به وقال يا اصمعي اريد منك ان تحدثني باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعاً وطاعة لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال له حدثني حديثهن فقال : اعلم يا أمير المؤمنين اني توجهت سنة إلى البصرة فاشتد علي الحر فطلبت مقيلا أقيل فيه فلم اجد فبينما انا اتلفت يميناً وشمالا اذا أنا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاماً عذباً من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكل منا تقول بيتاً من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلاثمائة دينار لها فقلن حباً وكرامة . فقالت الكبرى :

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظاً كان اعجبا

فقالت الوسطى :

وما زارني في النوم الا خياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى :

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت علي الدكة ثانياً وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاءات مدور الواوات مضمونه نعلم الشيخ أطال الله بقاءه أننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا أن كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلاثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الي بدواة مفضضة واقلام مذهبة فانشأت أقول :

أحدث عن خود تحدثـــن مرة	حديث امرىء ساس الامورو جربا
ثلاث كبكرات الصحارى جحافل	حللن بقلب للمسوق معذبـاً
خلون وقد نـامت عيون كثـيرة	من الراقدين المشتهين التغيبـا
فبحن بما يخفين من داخل الحشـا	نعم واتخذن الشعـر لهواً وملعبـا
فقالت عروب ذات عز غريـرة	وتبسم عن عذب المقالة أنسبـا
عجبت له ان زارني النوم مضجعي	ولو زارني مستيقظاً كان اعجبا
فلما انقضى مازخرفت وتضاحكت	تنفست الوسطى وقالت تطربا
وما زارني في النوم الا خيالـــه	فقلت له أهلا وسهلا ومرحباً
واحسنت الصغرى وقالت مجيبـة	يلفظ لها قد كان أشهى واعذبا
بنفسي واهلي من ارى كل ليلـة	ضجيعي ورياه من المسك اطيبـا
فلما تدبرت الذي قلن وانــبرى	لي الحكم لم اترك لذي اللب معتبا
حكمت لصغراهن في الشعر أنني	رأيت الذي قالت جميلا واصوبا

قال الاصمعي ثم دفعت الرقعة إلى الجارية فلما صعدت إلى القصر فاذا برقص وتصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة فقلت ما بقي لي إقامة فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فقلت ومن أعلمك انني الاصمعي فقالت يا شيخ ان خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجارية

لنادي وتقول اجلس يا اصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفا أحمر في كم اصفر فخلته البدر يشرف من تحت الغمام ورمت لي بصرة فيها ثلاثمائة دينـار وقالت هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكمك فقال لي أمير المؤمنين لاي شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ان بيت الكبرى قالت عجبت له ان زار في النوم مضجعي وهو محمول معلق على شرط قد يقع وقد لا يقع وأما الوسطى فمر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى ذكرت أنه ضاجعها مضاجعة حقيقية وشمت منه انفاساً اطيب من المسك وفدته بنفسها واهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخليفة أحسنت يا اصمعي ثم دفع الي ثلاثمائة دينار فأخذتها وانصرفت فكنت أقول لله درك من شعر اخذت فيه ستمائة دينار ثلاثمائة في حكومتي له وثلاثمائة دينار في حكايته والله اعلم .

نادرة غريبة عن الاصمعي

قال الاصمعي سهرت ليلة عند هارون الرشيد في الرقة فقال لي من معك يا عبد الله يؤنسك ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ما لي أنيس الا الوحدة فامسك واقبل في حديثه ما شاء الله ثم نهض ونهض من بحضرته فلما صرت إلى منزلي واذا بالباب صوت ينادي ويقرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جارية فلما رآني الخادم دنا مني وقبل يدي وقال لي يقول لك امير المؤمنين قد أمرن لك من يؤنسك وهي جارية من خواصه وشيء من المال فشكرت أمير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخالها ومعها جواريها والات طرب وفرش ما لم ار مثله الا عند أمير المؤمنين ثم ودعني الخادم وانصرف فلما نظرت إلى الجارية رأيتها أحسن الناس وجهاً واكملهم قدا وشكلا وظرفا واكثرهم مجونا فداخلني لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا الحياء البارد السمج الذي لا وجه له ؟ اين ملحك ونوادرك ؟ ثم قالت الجارية لاحدى الجواري هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون من الوان الطعام فاكلنا وهي مع ذلك تباسطني وتؤانسني بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتني ثم قالت ما بقي بعد الاكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثياب ما ارادت والبستني ثياباً

فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا ثم اضطجعت إلى جانبي فلما جمعنا الفراش اصابني من الحصر وانقطاع الانعاظ ورخاوة الاير ما لم أكن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد الا انكماشاً وموتاً فلما اعيتها الحيلة ويئست من قيامه ومضى من الليل اكثره قالت : عظم الله اجرك في أيرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بسفط فاخرجت منه مناديل صغاراً وحنوطا وقالت نم على ظهرك يا بطال فاستولى علي الخجل حتى إني لم أقدر أن أخالفها في شيء مما تأمرني به في جميع ما تفعله في فغسلته وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلمـــا فرغت همت بجواريها وقامت معهن في بكاء ونحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون وما زلن على ذلك إلى وقت السحر ثم قالت ما بقي الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عني فقمت وأنا أخزي خلق الله حالا فلبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتي إلى الرشيد فانكر الحاجب حضوري في ذلك الوقت واعلم الرشيد بي فاذن لي فدخلت وهو قاعد في مصلاه فقال لي ويحك ما دهاك في هذا الوقت ؟ فقلت يا أمير المؤمنين خبري عجيب وامري غريب فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا ما رحمتني ارحمني من هذه الجارية التي انفذتها الي فلا حاجة لي بها فقال لي وما السبب لذلك وما الخبر الذي دهاك وليس لها عندك حين من الزمان ؟ فشرحت له القصة من اولها إلى آخرها حتى بلغت إلى إقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى أنه كاد ان يستلقي على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجواري وغيرهن ثم قال نحن إلى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم إنه أمر بحملها إلى داره وعوضني عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حمل معها في منزلي وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى إنه لم يتقدم عليها أحد من نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية إلى ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين .

نادرة عجيبة

لما دخل هارون الرشيد إلى مكة شرفها الله تعالى ابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت إلى حاجبه منكراً عليه فقال الحاجب للاعرابي : تخل عن الطواف حتى يطوف أمير

المؤمنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوى بين الامام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل (سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظالم نذقه من عذاب اليم) فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك راعه أمره فأمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد إلى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم اتى الرشيد إلى المقام ليصلي فسيقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه أئتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال أجب أمير المؤمنين فقال ما لي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الي والسعي فقام هارون حتّى وقف بازائه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا أخا العرب أجلس هنـــا بامرك ؟ فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف فعظم ذلك على هارون وسمع ما لم يكن في ذهنه وما ظن انه يواجه أحد بمثل هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا اعرابي اريد أن أسألك عن فرضك فان انت قمت به فأنت بغيره أقوم وان أنت عجزت عنه فانت من غيره أعجز فقال الاعرابي سؤالك هذا سؤال تعلم أم سؤال تعنت ؟ فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابي قـــم فاجلس مقـام السائل من السؤال قال فقـام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يـدي الاعرابي فقال قد جلست فاسأل عما بدا لك فقال له أخبرني عما افترض الله عليك ؟ فقال له تسألني عن اي فرض عن واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة وثلاثين ام عن خمسة وثمانين أم عن واحدة في طول العمر أم عن واحدة من اربعين ام عن خمسة من مائتين ؟ قال فضحك هارون الرشيد حتّى استلقى على قفاه استهزاء به ثم قال له سألتك عن فرضك فأتيتني بحساب الدهر قال يا هارون لولا أن الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) فقال فظهر الغضب في وجه هارون الرشيد واحمرت عيناه حين قال له يا هارون ولم يقل يا امير المؤمنين وبلغ مبلغاً شديداً غير ان الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم أنه هو الذي أنطق الاعرابي بذلك فقال له هارون يا اعرابي إن فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى فضحك الاعرابي من قولهما حتّى استلقى على قفاه فقال

مم تضحك ؟ قال عجباً منكما اذ لا ادري ايكما أجهل الذي يستوهب أجلا قد حضر أم من يستعجل أجلا لم يحضر قال فهالٍ هارون الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابي أما سؤالك عما افترض الله علي فقد افترض علي فرائض كثيرة فقولي لك عن فرض واحد فهو دين الاسلام واما قولي لك عن خمسة فهي الصلوات واما قولي لك عن سبعة عشر فهي سبعة عشر ركعة واما قولي لك عن اربعة وثلاثين فهي السجدات واما قولي لك عن خمسة وثمانين فهي التكبيرات واما قولي لك عن واحدة في طول العمر فهي حجة الاسلام واحدة في طول العمر كله واما قولي لك واحدة من اربعين فهي زكاة الشياه شاة من اربعين واما قولي لك خمس من مائتين فهي زكاة الورق قال فامتلأ هارون فرحاً وسروراً في تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الاعرابي وعظم الاعرابي في عينه وتبدل بغضه محبة ثم قال الاعرابي سألتني فاجبتك وأنا اريد ان اسألك فأجبني ؟ قال قل فقال الاعرابي ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشا حرمت عليه فلما كان وقت الفجر حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له ؟ فقال والله يا أخا العرب لقد اوقعتني في بحر لم يخلصني منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شيء ولا ينبغي ان تعجز عن مسئلة فكيف عجزت عن مسألتي وانا رجل بدوي لا قدرة لي ؟ فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهي اكراماً لي ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حباً وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدري بالحقير فقال حباً وكرامة ثم قال إن قولي لك عن رجل نظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراماً فهو رجل نظر إلى أمة غيره وقت الفجر فهي عليه حرام فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع إلى الاسلام فحلت له قال فاغتبط هارون الرشيد وفرح به واشتد إعجابه ثم امر له بعشرة

الاف درهم فلما حضرت قال : لا حاجة لي بها ردها إلى صاحبك الذي ارسلها فقال له اريد ان اجري لك جراية تكفيك مدة حياتك ؟ قال الذي اجرى عليك يجري علي قال فان كان عليك دين قضيناه عنك ؟ قال لا ولم يقبل منه شيئاً ثم انشد :

هب الدنيا توافينـــا سنينـــا	فتكـدر ساعـة وتلـذ حينـــاً
فما ابغي لشـيء ليـس يبغـــي	واتركه غدا للوارثينـــــا
كاني بالـــتّراب عــــلي يحـــثّى	وبالاخوان حـــولي نادبينـــا
ويـــوم تزفـــر النـــيران فيـه	وتقسم جهـرة للسامعينـــا
وعزة خالقـــي وجـــلال ربي	لانتقمـــن منهـــم اجمعينـا
وقد شاب الصغير بغير ذنـــب	فكيف يكـون حـال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه هارون الرشيد وسأله عن أهله وبلاده فاخبره انه موسى الرضى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزي اعرابي زهداً في الدنيا وتباعداً عنها فقام اليه هارون الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ (الله اعلم حيث يجعل رسالته) وانصرف رحمة الله عليهم اجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

اليتيمـــة

١	هـــل بالطلال لسائل رد	ام هل لها بتكلـــم عهـــد
٢	درس الجديد جديد معهدها	فكأنمـــا هي ربطـــة جـرد
٣	من طول ما تبكي الغيوم علي	عرصاتهـا وبقهقـــة الرعـد
٤	وتلث ساريـــة وغاديـــة	ويكر نحس خلفــه سعـــد
٥	تلقاء شاميـــة يمانيـــة	لهما يمـــور ترابهـا سـرد
٦	فكست بواطنهـا ظواهرهـا	نوراً كـــان زهـــاءه بـــرد
٧	يخدي فيسري نهجـة حدب	واهي العرى ويزيـده عهـد
٨	ووقفت اسألها وليـس بهـا	الا المهـــا ونقانـــق ربـد
٩	فتبادرت درر الشؤون عـــلي	خدى كمـــا يتناثـر العقـــد
١٠	لهفي على دعد فما خلقـت	الا لحر تلهفـــــي دعـــد
١١	بيضاء قد لبس الاديم بهـا	الحسن فهـــو لجلدهـا جلـد
١٢	ويزين فوديهااذاحسرت...	ضافي الغدائر فاحـــم جعـد
١٣	فالوجه مثل الصبح مبيـض	والشعر مثل الليل مســـود
١٤	ضدان لما استجمعا حسنـا	والضد يظهر حسنـــه الضـد
١٥	وجبينها صلت حاجبهـــا	شخط المحظ ازج ممتـــد
١٦	وكأنها وسني اذا نظـــرت	او مدنف لمـــا يفـــق بعـد
١٧	بفتور عين ما بهـــا رمـد	وبها تداوى الاعـــين الرمـد
١٨	وتريك عرنينـــا يزينـــه	شمم وخـــدا لونـــه الـورد
١٩	وتجيل مسواك الاراك عـلي	رتل كان رضابـــه الشهـد
٢٠	وكأنمـا سقيت ترائبهـــا	والنحر ماء الورد اذ يبـــدو
٢١	فالجيـد منها جيد جـؤذره	تعطو اذا ما طالهـــا المـرد
٢٢	وامتد في عضادهـــا قصب	فعـم يليـــه مرافـــق درد
٢٣	والمعصمـان فمـا يرى لهما	من نعمة وبضاضـــة زنـد
٢٤	ولها بنان لو اردت لـــه	عقدا بكفك امكـــن العقـد

٢٥ وبصدرهـا حقـان خلتهما ... كافورتين علاهمـا نـد
٢٦ والبطن مطوي كما طويـت ... بيض الرباط يصونهـا الملـد
٢٧ وبخصرها هيـف يزينـه ... فاذا تنوء يكـاد ينقـد
٢٨ والتف فخذاهـا وفوقهمـا ... كفل يجاذب خصرهـا نهـد
٢٩ فقيامها مثني اذا نهضـت ... من ثقلـة وقعودهـا فـرد
٣٠ ولها هن راب مجستـه ... وعر المسالك حشـوه وقـد
٣١ فاذا طعنت طعنت في لبـد ... واذا سللت يكـاد ينسـد
٣٢ والساق خرعبـة منعمـة ... علت فطوق الحجـل منسـد
٣٣ والكعب ادرم لا يبين لـه ... حجك وليس لرأسـه حـد
٣٤ ومشت على قدمين خصرتا ... والينتـا فتكامـل القـد
٣٥ ما عابهـا طول ولا قصر ... في خلقهـا فقوامهـا قصـد
٣٦ ان لم يكن وصل لديك لنا ... يشفي الصبابة فليكـن وعـد
٣٧ قد كان اورق وصلكم زمنا ... فذوى الوصـال واورق الصـد
٣٨ لله اشواقي اذا نزحـت ... دار بنـا ونأى بكـم بعـد
٣٩ ان تتهمي فتهامـة وطني ... او تنجدي ان الهوى نجـد
٤٠ وزعمت ان لا تضمرين لنا ... وداً فهلا ينفـع الـود
٤١ واذا المحب شكا الصدود ولم ... يعطف عليـه فقتلـه عمـد
٤٢ تختصهـا بالود وهي علـي ... ما لا تحب فهكـذا الوجـد
٤٣ او ما ترى طمـري بينهما ... رجل الح بهزلـه الجـد
٤٤ فالسيف يقطع وهو ذو صدأ ... والنصل يعلو الهـام لا الفهـد
٤٥ هل تنفعن السيف حليتـه ... يوم الجلاد اذا نبـا الحـذ
٤٦ ولقد علمت بانني رجـل ... في الصالحات اروح او اغـدو
٤٧ سلم علي الادني ومرحمـة ... وعلى الحوادث هـادن جلـد
٤٨ متجلبب ثوب الصفاء وقـد ... وهل الحبيب وساعـد السعـد
٤٩ تابى المطامـع ان تثلمـني ... اني لسعولهـا صفـا صلـد

٥٠ فاروح حرا من مذلتهـــا والحر حين يطيعهــا عبــد
٥١ آليت امدح مقرعـاً ابـدا يبقى المليح ونصـــل القـــرد
٥٢ هيهات يا بني ذاك لي سلفي خمدوا ولم يخمد لهـــم مجـد
٥٣ والجد كندة البنـــون هـم فزكا البنون وانجـــب الجـد
٥٤ فلئن قفــوت جيل فعلهـم بذميم فعـلي انــني وغـــد
٥٥ اجمل اذا حاولت في طلب فالمجد يغني عنـــك لا الجـد
٥٦ واذا صبرت لجهـد نازلـة فكأنه ما مسـك الجهـــــد
٥٧ ليكـن لديك لسائل فـرج ان لم يكن فليحسن الــــرد
٥٨ وطريد ليل ساقه سغـــب وهنا اليك وقـــاده بـــرد
٥٩ اوسعة جهداً بشاشة وقرى وعلي الكريم لضيفـــه الجهد
٦٠ فتصرم المثني ومنزلـــه رحب لدي وعيشـــة رغــد
٦١ ثم اعتدى ورداؤه نعـــم أسارتها وردائي الحمـــــد
٦٢ يا ليت شعري بعد ذلكـم ومصيرنـا كل امـرىء لحـد
٦٣ اصريع كلم ام صريع ضنى اودى فليس من الـردى بـــد

حكاية الحجاج مع اهل العراق

حكى عن عبد الله بن عمير انه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب اهل العراق جمع اهل بيته وأهل النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤهـا وكثر غوغاؤها واملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكي وانف حمي فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم احد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين انا للعراق قال ومن انت لله ابوك قال انا الليث الضمضام والهزبر الهشام أنا الحجـاج بن يوسف قال ومن اين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعملوا السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك ثم قال لي ارى الرؤس مطرقة والا لسن معتقله فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا مجندل الفساق ومطفىء نار النفاق قال ومن انت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عني وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شيء يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلني قطعته ومن نازعني قصمته ومن دنا مني أكرمته ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع إلى الطاعة بجلته فهذه آيتي وعلامتي وما عليك يا أمير المؤمنين ان تبلوني فان كنت للاعناق قطاعاً وللاموال جماعاً وللارواح نزاعاً ولك في الاشياء نفاعاً والا فليستبدل بي أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذي تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعـا عبد الملك صاحب جنـده فقال هيىء له من الجند شهوته والزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فامره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصداً نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذ اتانا آت فقـال هذا الحجاج قدم أميراً على العـراق فتطاولـت الاعنـاق نحوه

وافرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء ملثماً بها
ثم صعد المنبر فلم يتكلم بكلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد باهله
واهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل
المسجد ومعه العشرون والثلاثون من اهل بيته ومواليه واتباعه عليهم الخز والديباج
قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن صابيء التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر
قال لصاحب له أسبه لكم قال اكفف حتى تسمع ما يقول فأبى ابن صابىء وقال
لعن الله بني أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق
حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرها كما هو ما كان بشيء والحجاج
ساكت ينظر يميناً وشمالا فلما رأى المسجد قد غص باهله قال هل اجتمعتم فلم
يرد عليه احد شيئاً فقال اني لا اعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل
من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الامير فكشف عن لثامه ونهض قائماً فكان اول
شيء نطق به أن قال والله اني لأرى رؤساً اينعت وقد حان قطافها واني لصاحبها
واني لأرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين
نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا واصلبها مكسرا فرماكم
بي لانكم طالما اثرتم الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لانكلن بكم في البلاد
ولاجعلنكم مثلا في كل واد ولا ضربنكم ضرب غرائب الابل واني يا اهل
العراق لا اعد الا وفيت ولا اعزم الا أمضيت فاياي وهذه الزرافات والجماعات
وقيل وقال وكان ويكون يا اهل العراق انما انتم اهل قرية كانت آمنة مطمئنة
يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاتاها وعيد القرى من ربها
فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا
فليس من الاهذار والاكثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف
حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم ويقيم له اودكم ثم اني وجدت الصدق
مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور
في النار وقد وجهني أمير المؤمنين اليكم وامرني ان انفق فيكم واوجهكم لمحاربة
عدوكم مع المهلب بن ابي صفرة واني اقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ
اعطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالكوفة مـــن

المسلمين سلام عليكم ورحمة الله فلم يرد عليه احد شيئاً فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئاً عليه هذا ادبكم الذي تأدبتم به اما والله لأدبنكم ادباً غير هذا الادب يا غلام اقرأ فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق احد في المسجد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الامير اني على الضعف كما ترى ولي ابن هو اقوى مني على الاسفار افتقبله بديلا مني فقال أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل اتدري من هذا ايها الامير قال لا قال هذا بن صبابىء الذي يقول :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه وهو مقتول فوطىء في بطنه فكسر ضلعين من اضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج انت الفاعل بأمير المؤمنين ما فعلت يوم قتل الدار إن في قتلك ايها الشيخ اصلاحاً للمسلمين يا سياف أضرب عنقه فضرب عنقه وكان من امره بعد ذلك ما عرف وسطر .

ومن اخبار الحجاج

ما حكى انه لما اسرف في قتل اسرى دير الجماجم واعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغني عنك اسراف في الدماء وتبذير في العطاء وقد حكمت عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الاموال أن تردها إلى مواضعها ثم تعمل فيها برأي فانما هو مال الله تعالى ونحن امناؤه فان كنت اردت الناس لي فما اغناني عنهم وان كنت اردتهم لنفسك فما اغناك عنهم وسيأتيك عني امران لين وشدة فلا يؤمننك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية واذا اعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا اسيراً وكتب في اسفل الكتاب :

اذا أنت لم تترك اموراً كرهتها وتطلب ارضائي بالذي انا طالبه

فان ترمني غفلـــة قرشيــــة	فيا ربما قد غص بالماء شاربــه
وان ترمني وثبـــة امويـــة	فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تأتمني والحــوادث جمــة	فانك تجز بالذي أنت كاسبــه
فلا تعد ما يأتيك مني وان تعــد	يقمن به يوماً عليك نواد بــه
فلا تمنعن الناس حقــاً علمتــه	ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فإنك ان تعطي الحقوق فانمـــا	النوافل شيء لا يثيبك واهبــه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب إلى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر اسرافي وتبذيري في الاموال ولعمري ما بلغت في عقوبة اهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلي العصاة اسرافاً واعطائي المطيعين تبذيراً فليمض لي أمير المؤمنين ما سلفت والله ما اصبت القوم خطأ فاوديهم ولا ظلمتهم عمداً فاقاد بهم ولا قتلت الا لك ولا اعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب في اسفل الكتاب : ــ

اذا انا لا ابغي رضاك واتقـــي	اذاك فليلي لا تواري كواكبــه
وما لامرىء بعــد الخليفـــة جنـة	تقيه من الامر الذي هو راكبـه
اذا قارف الحجاج فيـك خطيئــة	لقامت عليــه بالصياح نوادبــه
اذا انا لم ادن الشفيـــق لنصحـه	واقصى الذي تسري الي عقاربه
واعط المواسي في البـــلاء عطيـة	لرد الذي ضاقــت علي مذاهبه
فمن يتقي بؤس ويرجو مودتـــي	ويخشى غداً والدهر جـم نوائبه
وامري اليك اليوم ما قلت قلتـــه	وما لم تقله لم اقل ما يقاربـــه
ومهما اردت اليوم مني اردتـــه	وما لم ترده اليوم اني مجانبـــه
وقف بي على حد الرضا لا اجوزه	مدى الدهر حتى يرجع الدرحالبه
والا فدعني والامـــور فانـــني	شفيق رفيق احكمته تجاربـــه

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال خاف ابو محمد صولتي ولم يعاود لامر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومني على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانت أعلا عينا بما هناك .

نادرة في قبول النصيحة وعدم افشاء السر

ذكر ان الحجاج لما ولي الامارة قتل عبد الله بن الزبير ثم رحل إلى عبد الملك ابن مروان ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك بن مروان سلم عليه بالخلافة وقال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز في الشرف والابوة وكمال المرؤة والادب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يفعل بمثله في ابوته وشرفه فقال عبد الملك يا ابا محمد اذكرتنا حقاً واجباً ائذنوا لابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس في صدر المجلس وقال له عبد الملك ان أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة في خاصة أمرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم أما الحوائج التي نبتغي بها الزلفي ونرجو بها الثواب فما كان لله خالصاً ولنبيه (ص) ولكن لك يا أمير المؤمنين عندي نصيحة لا أجد بدأ من ذكرها قال أهي دون ابي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين يضع رجله ثم قال عبد الملك قل يا بن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين انك عمدت إلى الحجاج في ظلمه وتعديه على الحق واصخائه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من اصحاب رسول الله (ص) وابناء المهاجرين والانصار يسومهم الخسف ويطأهم العسف بطغام أهل الشام من لا رؤية له في إقامة الحق ولا ازالة الباطل قال فاطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال كذبت يا بن طلحة ظن فيك الحجاج غير هذا قم فربما ظن الخير بغير أهله قال فقمت وانا ما ابصر طريقاً قال واتبعني حرسياً وقال اشدد به قال ابراهيم فما زلت جالساً حتى دعا الحجاج فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساء ظني ولا اشك أنه في امري ثم دعا بي فلقيني الحجاج في صحن القصر خارجاً فقبل بين عيني وقال احسن الله جزاءك قال فقلت في نفسي إنه يهزء بي ودخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الاول ثم قال يا بن طلحة هل اطلع على نصيحتك احد فقلت لا والله يا امير المؤمنين ولا اردت الا الله ورسوله والمسلمين وامير المؤمنين علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهته لهما واعلمته انك استقللت ذلك عليه وسألتني له ولاية كبيرة ولقد وليته العراقين وقررت له ان ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك ما لا بد له من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته .

حكاية الغضبان مع الحجاج

سأل الحجاج يوماً الغضبان القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها ان قال له من اكرم الناس قال افقههم في الدين واصدقهم في اليمين وابذلهم للمسلمين واكرمهم للمهانين واطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطي على الهوان المقتّر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال اطولهم جفوة وادومهم صبوه واكثرهم خلوه واشدهم قسوه .

قال فمن اشجع الناس قال اضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن اجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب لظلال السقوف الكاره لضرب السيوف .

قال فمن اثقل الناس قال المتفنن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقبقب على الطعام .

قال فمن خير الناس قال اكثرهم احساناً واقومهم ميزاناً وادومهم غفراناً واوسعهم ميداناً قال لله درك فكيف يعرف الرجل الغريب احسيب هو أم غير حسيب قال اصلح الله الامير إن الرجل الحسيب يدلك ادبه وعقله وشمائله والنذل الجاهل بجهله فمثله كمثل الدره اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها واكرموها فهي عندهم لعرفتهم بها حسنة نفيسه فقال الحجاج لله ابوك فما العاقل والجاهل قال اصلح الله الامير العاقل الذي لا يتكلم هذراً ولا ينظر شذراً ولا يضمر غدْراً ولا يطلب عذراً والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على إمامه الفاحش على غلامه قال لله ابوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال العاجز قال المعجب بارائه قال هل عندك للنساء خبر قال اصلح الله الامير .

إني بشأن النساء خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت حياته عليه فاكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفه فاذا زلن عنها فهن انتن من الجيفة فقال له الحجاج

يا غضبان إني موجهك إلى ابن الاشعث وافد فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرد به ويؤذيه ويضنيه فقال إني اظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوتك يجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الامير ساحدد له لساني واجريه في ميداني قال فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان فلما توجه إلى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان كرمان توجه إلى ابن الاشعث وقال ان الحجاج قدهم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل ان يتعشا بك فاتخذ حذره عند ذلك ثم امر للغضبان بجائزة سنيه وخلع فاخرة فاخذها وانصرف راجعاً فأتى إلى رملة كرمان في شدة الحر وهي رمله شديدة الحراره من حرارة الشمس فضرب فيها خيمته وحط عن راحلته فبينما هو كذلك اذا باعرابي من بني بكر بن وائل قد اقبل على بعير قاصداً نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزاله وقت الظهيرة وقد ظمىء ظمأ شديداً فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة اكبر منها واعظم قال ايتهن تعني قال قبة الامير بن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها ان هذه أمنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال اكره ان يكون لي اسمان قال بالله من أين انت قال من الارض قال فاين تريد قال أمشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الرمضاء فقال الاعرابي اتقرض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال افتسجع قال انما تسجع الحمامه فقال يا هذا ائذن لي ان أدخل قبتك قال خلفك اوسع لك فقال قد أحرقني حر الشمس قال ما لي عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا مشربك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الأعرابي سبحان الله قال نعم ومن قبل ان تطلع اسنانك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جار بني كعب قال الغضبان بئس الشيخ انت والله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلا اقسى منك اتيتك مستغيثاً فحجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال ما لي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن انت فقال انا الغضبان بن القبعثري

فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئاً على باب قبّي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيراً من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكماً لجرت في حكومتك لانّ رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة قال الاعرابي اني لاحظتك حرورياً قال اللهم اجعلني ممن يتحر الخير ويريده فقال اني لا اظن عنصرك فاسد قال ما اقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قـوم تسودهـــم	اني اظنك والرحمـــن شيطانـاً
اتيت قبته ارجـــو ضيافتـــــه	فاظهر الشيخ ذو القرنين حرماناً

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الذي تجسس على الغضبان بما جرى منه مع ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت ارض كرمان قال اصلح الله الامير ارض يابسة الحشيش بها ضعاف هؤلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج الست صاحب الكلمة التي بلغتني عنك اذ قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما صرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له الم أقل لك كأني بصوتك يجلجل في قصري هذا اذهبوا به إلى السجن فذهبو به مقيداً وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبّي هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انها حصينة منيعة نضرة بهيجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث إلى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبّي هذه وبناءها قال اصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك ولا تدوم لك ولا يسكنها وارثك لا تبقى لك وانت لا تبقى لها فقال الحجاج قد صدقت يا غضبان ردوه إلى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال انزلوه فلما انزلوه قال رب انزلني منزلا مباكا وانت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثاً ثم عفا عنه وانعم عليه وخلى سبيله .

هند بنت النعمان والحجاج

كانت هند بنت النعمان من أجمل واحسن النساء في زمانها فوصف للحجاج حسنها وجمالها فانفذ اليها يخطبها وبذل لها مالاً جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة وكانت هند هذه فصيحة اديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم رحل بها إلى العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول .

وما هند الا مهـــــــرة عربيـــــة	سليلة افراس تجللهـــــا بغـــل
فان ولدت فحلا فللـــه درهـــــا	وان ولدت بغلا فجـاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت بوقوفه عليها فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التي كانت قبله فقالت إعلم يابن طاهر انا كنا فما حمدنا وبنا مما ندمنا وهذه المائتا الف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف لـــه جمالها فارسل اليها يخطبها فارسلت اليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه إعلم يا امير المؤمنين ان الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعاً احداهن بالتراب فاغسلي الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو قلت ان يقود الحجاج محملي من المعره إلى بلدك التي انت فيها ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها اولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً وانفذ إلى الحجاج وامره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين اجاب وامتثل الامر ولم يخالف وانفذ إلى هند يأمرها بالتجهيز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل الزفاف وركب حولها

جواريها وخدمها واخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء اكشفي لي سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فانشأ يقول :

فان تضحكي مني فيا طول ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته في الحال : —

وما نبالي اذا ارواحنا سلمت ... بما فقدناه من عز ومن نسب
فالمال مكتسب والعز مرتجع ... اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تضحك وتلعب عليه إلى ان قربت من بلد الخليفة فرمت ديناراً على الارض ونادت يا جمال إنه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج إلى الارض فلم يجد الا ديناراً فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل هو دينار فقالت الحمد لله الذي ابدلنا بدرهمنا ديناراً فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جواباً ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من امرها ما كان والله اعلم

ومن فصحاء النساء

ما حكي عن عبد الله النمري أنه قال كنت يوماً مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من اي العرب انت قالت انا من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت فقال اوعندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من

اكرمها نسباً واعظمها حسباً وخيرها أما وأبا وممن تهابه مضر كلها قالت اظنك من كنانه قال انا من كنانه قالت فمن اي كنانة قال من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واطولها في المكرمات يدا ممن تهابه وتخافه قالت اذن انت من قريش قال انا من قريش قالت من اي قريش قال من اجملها ذكرا واعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت انت والله من بني هاشم قال انا من بني هاشم قالت من أي بني هاشم قال من اعلاها منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه بنو هاشم وتخافه فعند ذلك قالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيماً وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من اكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقت العساكر فنزل هناك وانفذ إلى أبيها وخطبها فزوجه بها واخذها وعاد مسروراً وهي والدة العباس والله اعلم .

حب السفاح للمسامرة

فمن ذلك ما ذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدي الطائي عن يزيد الرقاشي قال كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال واني سمرت عنده ذات ليلة فقال يا يزيد أخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت يا أمير المؤمنين وان كان في بني هاشم قال : ذلك اعجب الي قلت يا أمير المؤمنين نزل رجل من تنوخ بحي من بني عامر بن صعصعه فجعل لا يحط شيئاً من متاعه الا تمثل بهذا البيت :

لعمرك ما تبلى سرائر عامر ... من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحي فحادثته وانسته وسألته حتى انس بها ثم قالت ممن انت منعت بك ؟ قال : رجل من بني تميم فقالت : اتعرف الذي يقول : —

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو ان برغوثا على ظهر قملة ... يكر علي جمعي تميم لولت
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا ... وما ذبحت يوماً تميم فسمت
ارى الليل يجلوه النهار ولا ارى ... عظام المخازى عن تميم تجلت

فقال لا والله ما انا من تميم قالت فممن أنت ؟ قال رجل من عجل قالت اتعرف الذي يقول :

ارى الناس يعطون الجزيل وانما	عطاء بني عجل ثلاث واربعَ
اذ مات عجلي بارض فإنما	يشق له منها ذراع واصبع

قال لا والله ما انا من عجل قالت فممن انت ؟ قال رجل من بني يشكر قالت اتعرف الذي يقول :

اذا يشكرى مس ثوبك ثوبه	فلا تذكران الله حتى تطهرا

قال لا والله ما انا من يشكر قالت فممن انت قال رجل من بني عبد القيس قالت اتعرف الذي يقول : —

رأيت عبد القيّس لاقت ذلا	اذا اصابو بصلا وخلا
ومالحا مصنعا قد طلا	باتوا يسلون النساء سلا

سل النبيط القصب المبتلا

قال لا والله ما انا من عبد القيس قالت فممن انت ؟ قال رجل من باهلة قالت اتعرف الذي يقول :

اذا ازدحم الكرام على المعالي	تنحى الباهلي عن الزحام
فلو كان الخليفة باهليا	لقصر عن مناوأة الكرام
وعرض الباهلي وان توقى	عليه مثل منديل الطعام

قال لا والله ما انا من باهلة قالت فممن انت ؟ قال رجل من بني فزارة قالت اتعرف الذي يقول : —

لا تأمنن فزاريا خلوت به	على قلوصيك واكتبها باسيار
لا تأمنن فزاريا على حمر	بعد الذي امثل اير العير في النار
قوم اذا نزل الاضياف ساحتهم	قالوا لا مهم بولي على النار

قال لا والله ما انا من فزارة قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من ثقيف قالت اتعرف الذي يقول : —

اضل الناسبـــون ابا ثقيـــــف   فما لهـــم اب الا الضــــلال
فان نسبت او انتسبـــت ثقيـف   إلى أحـــد فذاك هـــو المحـــال
خنازير الحشـــوش فاقتلوهـــا   فان دماءهـــا لكم حـــلال

قال لا والله ما انا من ثقيف قالت فممن انت ؟ قال رجل من بني عبس قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا عبسيـــة ولـــدت غلامـــا   فبشرهـــا بلـــؤم مستفـــاد

قال لا والله ما انا من عبس قالت فممن انت قال رجل من ثعلبة قالت اتعرف الذي يقول : —

وثعلبـــة بن قيـــس شر قـــوم   والأمهـــم واغدرهـــم بجـــار

قال لا والله ما انا من ثعلبة قالت فممن انت ؟ قال رجل من غني قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا غنويـــة ولـــدت غـــلامـــا   فبشرهـــا بخيـــاط مجيـــد

قال لا والله ما انا من غني قالت فممن انت ؟ قال رجل من بني مرة قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا مريـــة خطبـــت يداهـــا   فزوجهـــا ولا تأمـــن زناهـــا

قال لا والله ما انا من بني مرة قالت فممن انت ؟ قال رجل من بني ضبه قالت اتعرف الذي يقول : —

لقد زرقت عينـــاك يا بن معكبر   كما كل ضبي من اللـــؤم ازرق

قال لا والله ما انا من بني ضبة قالت فممن انت ؟ قال رجل من بجيلة قالت اتعرف الذي يقول : —

سألنا عن بجيلـــة حين حلــت — لتخبراين قربهـــا القرار ؟
فما تـدري بجيلــة حين تدعـى — اقحطان ابوهــا ام نــزار ؟
فقد وقعت بجيلـــة بين بــــين — وقد خلعــت كما خلــع العذار

قال لا والله ما انا من بجيلة قالت فممن انت ويحك ؟ ! قال رجل من بني الأزد قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا ازديــة ولدت غلامـــــا — فبشرهــا بمـــلاح مجيــــد

قال لا والله ما انا من الازد قالت فممن انت ويلك ؟ ! اما تسمي ؟ ! قل الحق قال انا رجل من خزاعة قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا افتخرت خزاعـــة في قــديم — وجدنــا فخرهــا شرب الخمور
وباعت كعبــة الرحمــن جهــراً — بزق بئس مفتخــر الفخــور

قال لا والله ما انا من خزاعة قالت فممن انت ؟ ! قال رجل من سليم قالت اتعرف الذي يقول : —

فما لسليم شتــت الله امرهـــــا — تنيك بايديها وتعيــا ايورهـــا

قال لا والله ما انا من سليم قالت فممن انت ؟ ! قال رجل من لقيط قالت اتعرف الذي يقول : —

لعمرك ما البحار ولا الفيـــــافي — باوسع من فقـــاح بني لقيـــط
لقيط شر من ركـــب المطايـــا — وانذل من يدب على البسيــــط
الا لعن الالـــــه بـــني لقيـــط — بقايا سبيـــة من قـــوم لـــوط

قال لا والله ما انا من بني لقيط قالت فممن انت ؟ ! قال رجل من كنده قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا افتخـــــر الكنـــــدي ذو البهجــــــة والطـــره
فبالنســــــــج وبالحـــف وبالســــــــدل وبالحفـره
فدع كنـــــدة للنســــج فأعلى فخرهـــا عــــره

قال لا والله ما انا من كنده قالت فممن انت ؟ ! قال رجل من خثعم قالت اتعرف الذي يقول : —

وخثعم لو صغـرت بهـا صغيرا لطارت في البـلاد مع الجـراد

قال لا والله ما انا من خثعم قالت فممن انت ؟ قال رجل من طي قالـت اتعرف الذي يقول :

وما طيء الا نبيط تجمعــــــت فقالت طياناً كلمـــة فاستمرت
ولو ان حرقوصاً يمـــد جناحـه على جبـلي طي اذا لاستظلـت

قال لا والله ما انا من طي قالت فممن انت ؟ قال رجـل من مزينه قالـت أتعرف الذي يقول : —

وهل مزينــة الا من قبيلـــــة لا يرتجى كرم فيهـــا ولا دين

قال لا والله ما انا ممن مزينة قالت فممن انت ؟ قال رجل من النخع قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا النخع اللئـــام عدوا جميعـــا تأذى الناس من وفـــر الزحـــام
وما تسمو إلى مجـــــد كــــريم وما هم في الصمـــيم من الكرام

قال لا والله ما انا من النخع قالت فممن انت ؟ قال رجل من اود قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا نزلــت باود في دياهـــــــم فاعلم بانك منهم لســت بالناجي
لاتركنن إلى كهــل ولا حــدث فليس في القوم الا كل عفــاج

قال لا والله ما انا من اود قالت فممن انت قال انا رجل من لخم قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا ما انتمى قوم لفخر قديمهـــم   تباعد فخر القوم من لخم أجمعا

قال لا والله ما انا من لخم قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من جذام قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا كأس المـــدام اديـــر يومـــاً   لمكرمة تنحـــي عن جـــــذام

قال لا والله ما أنا من جذام قالت فممن انت ويلك ؟ ! أما تستحي ؟ اكثرت من الكذب قال انا رجل من تنوخ وهو الحق قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا تنوخ قطعـــــــت منهـــــلا   في طلب الغـــارات والثـــأر
آبت بخزى من الـــه العـــــــلى   وشهرة في الاهـــــل والجـار

قال لا والله ما انا من تنوخ قالت فممن انت ثكلتك املك ؟ ! قال انا رجل من حمير قالت اتعرف الذي يقول : —

نبئت حمير تهجوني فقلـــت لهم   ما كنت احسبهم كانوا ولاخلقوا
لان حمير قوم لا نصاب لهـــــم   كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهـــم   ولو يبول عليهم ثعلب غرقـوا

قال لا والله ما انا من حمير قالت فممن أنت قال انا رجل من يحابر قالـت اتعرف الذي يقول : —

ولو صر صرار بارض يحابــــر   لماتوا واضحوا في التراب رميما

قال لا والله ما انا من يحابر قالت فممن انت ؟ قال رجل من قشير قالت اتعرف الذي يقول : —

بني قشـير قتلـــــت سيدكـــم   فاليوم لا فديـــــة ولا قـود

قال لا والله ما انا من قشير قالت فممن أنت ؟ قال رجل من بني أمية قالت اتعرف الذي يقول : —

وهي من اميــــة بنيانهـــــا فهان على الله فقدانهـــــــــا
وكانت أميـــــة فيمـــا مضـى جرى على الله سلطانهـــــــا
فلا ال حرب اطاعـــوا الرسـول ولم يتـــــق الله مروانهــــبا

قال لا والله ما انا من بني أمية قالت فممن أنت قال رجل من بني هاشـــم قالت اتعرف الذي يقول : —

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكـــم فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلـــتم رهــط النبي محمـد فان النصارى رهط عيسى بنمريم

قال لا والله ما انا من بني هاشم قالت فممن انت ؟ قال رجل من همدان قالت أتعرف الذي يقول : —

اذا همـــدان دارت يــوم حرب رحاها فوق هامـــات الرجـــال
رأيتهم يحثــــون المطايــــــا سراعاً هاربين من القتـــــال

قال لا والله ما انا منهم قالت فممن تكون اذا لم تكن من همدان قال رجل من قضاعة قالت اتعرف الذي يقول : —

لا يفخرن قضاعــي باسرتـــــه فليس من يمن محضا ولا مضـر
مذبذبين فلا قحطـان والدهـــم ولا نزار فخلوهــم إلى سقــر

قال لا والله ما انا من قضاعة قالت فممن انت ؟ قال : رجل من شيبان قالت اتعرف الذي يقول : —

شيبان قـــوم لهـــم عديـــــــد فكلهـم مقـــرف لئـــــيم
ما فيهـــم ماجـد حسيـــــــب ولا نجيـــــب ولا كـــريم

قال لا والله ما انا من شيبان قالت فممن انت ؟ قال رجل من بني نمير قالت اتعرف الذي يقول : —

فغض الطرف انك من نمير　　فلا كعباً بلغت ولا كلابا
فلو وضعت فقاح بني نمير　　على خبث الحديد اذا لذابا

قال لا والله ما انا من نمير قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من تغلب قالت اتعرف الذي يقول : —

لا تطلبن خئولة في تغلب　　فالزنج اكرم منهم اخوالا
والتغلبي اذا تنحنح للقرى　　حك استه وتمثل الامثالا

قال لا والله ما انا من تغلب قالت فممن انت ؟ قال رجل من مجاشع قالت اتعرف الذي يقول : —

تبكي المغيبة من بنات مجاشع　　ولها اذا سمعت نهيق حمار

قال لا والله ما انا من مجاشع قالت فممن انت قال رجل من كلب قالت اتعرف الذي يقول : —

فلا تقربا كلبا ولا باب دارها　　فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قال لا والله ما انا من كلب قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من تيم قالت اتعرف الذي يقول : —

تيمية مثل انف الفيل مقبلها　　تهدى الرحا بيتان غير مخدوم

قال لا والله ما انا من تيم قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من جَرْم قالت اتعرف الذي يقول : —

تمنيني سويق الكرم جَرْمَ　　وما جرم وما ذاك السويق ؟
فما شربوه لما كان حلا　　ولا غالوا به في يوم سوق
فلما أنزل التحريم فيها　　اذا الجرمى منها لا يفيق

قال لا والله ما انا من جرم قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من سليم قالت اتعرف الذي يقول : —

اذا سليم جئتهـــــا لفدائهـــــا رجعت كما قد جئت غرثان جائعا

قال لا والله ما انا من سليم قالت فممن انت ؟ قال انا رجل من الموالي قالت اتعرف الذي يقول : —

الا من اراد الفحش واللوم والخنا فعند الموالي الجيد والطرفـــان

قال اخطأت نسبي ورب الكعبة انا رجل من الخوز قالت اتعرف الذي يقول

لا بارك الله ربي فيكـــم ابـــدا يا معشر الخوز ان الخوز في النار

قال لا والله ما انا من الخوز قالت فممن انت قال انا رجل من اولاد حام قالت اتعرف الذي يقول : —

فلا تنكحـــن اولاد حـــام فانهم مشاويه خلق الله حاشا بن اكوع

قال لا والله ما انا من اولاد حام لكني من اولاد الشيطان الرجيم قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك افتعرف الذي يقول : —

الا يا عباد الله هـــذا عدوكـم وهذا عدو الله ابليس فاقتلـوا

قال لها هذا مقام العائذ بك قالت قم فارحل خاسئا مذموما واذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعراً حتى تعرف من هم ولا تتعرض للمباحث عن مساوى الناس فلكل قوم إساءة واحسان الا رسول رب العالمين ومن اختاره الله على عباده وعصمه من عدوه وانت كما قال جرير للفرزدق : —

وكنت اذا حللـــت بـدار قـوم رحلت بخزيه وتركت عـــارا

فقال لها والله لا انشدت بيت شعر ابداً فقال السفاح لئن كنت علمت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الاشعار فلقد احسنت وانت سيد الكاذبين وان كانت العامرية قالت ذلك صدقا فانها لمن احضر النساء جواباً وابصرهم بمثالب الناس .

حكاية عجيبة وغريبة

روى محمد بن القاسم الانباري قال ان سوار صاحب رحبة سوار وهـو من المشهورين قال انصرفت يوماً من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فامرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت احبها واحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسي فدخلت وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وامرت ببغلة فاسرجت واحضرت فركبتها. فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا قال الفا درهم جبيتها مـن مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني فاطلقت رأس البغلة حتّى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتّى انتهيت إلى الصحراء ثم رجعت إلى باب الانبار وانتهيت إلى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم اعندك ماء تسقينيه قال نعم فدخل واحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجداً على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا انا باعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك اريد قلت فما حاجتك فجاء حتّى جلس إلى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت ان احدثك بشيء فقلت قل قال الا ترى إلى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج إلى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيئاً يصلني به واتوصل إلى سوار فانه كان صديقاً لابي فقلت ومن ابوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من اصدق الناس الي فقلت له يا هذا ان الله قد اتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتّى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر إلى منزلي ثم مضيت وقلت ما احدث امير المؤمنين بشيء أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه ذلك وامر لي بالفي دينار فاحضرت فقال ادفعها إلى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون الفا فحادثني ساعة وقال امضي إلى منزلك فمضيت إلى منزلي فاذا بخادم معه خمسون الفا وقال يقول لك امير المؤمنين إقض بها دينك قال فقبضت منه

لك فلما كان من الغد ابطأ على الاعمى واتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في امرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج إلى القرض ايضاً وقد امرت لك بخمسين الفا اخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعمى فدفعت اليه الالفي دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان ابيك وكأني على اسداء المعروف اليك ثم اعطيته شيئاً فاخذه وانصرف والله اعلم .

حكاية القاضي يحيى بن اكثم في فعل الخير

قال رحمه الله دخلت يوماً على الخليفة هارون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي اتعرف قائل هذا البيت :

الخير ابقى وان طال الزمـــان بـــه والشر اخبث ما اوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأناً مع عبيد بن الابرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له اخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة الحقت اولها أخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل منهم تقدم تر ما بالناس فتقدمت إلى اول القافلة فاذا انا بشجاع اسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا اهتدي إلى ما اصنع في امره فعد لنا عن الطريق إلى ناحية اخرى فعارضنا ثانياً فعلمت انه لسبب ولم يجسر احد من القوم ان يقربه فقلت افدي هذا العالم بنفسي واتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فاخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعاً منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة انساب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلنا ذلك في ليلة مظلمة مدلهمة فاخذت شيئاً من الماء وعدلت إلى ناحية مـــن

الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست اذكر الله فاخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حساً وقد ارتحلوا وبقيت منفرداً لم ار احداً ولم اهتد إلى ما أفعله واخذتني حيرة وجعلت اضطرب واذا بصوت هاتف اسمع صوته ولا ارى شخصه يقول : —

يا ايها الشخـص المضـــل مركبـه ما عنده من ذي رشـــاد يصحبه
دونك هذا البكر منـــا تركبـــه وبكرك الميمون حقـــاً تجنبـــه
حتى اذا ما الليـل زال غيهبـــه عند الصباح في الفلاتسيبـــــه

فنظرت فاذا انا ببكر قائم عندي وبكري إلى جانبي فانخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت إلى بكري وقلت :

يا ايها البكر قد انجيت من كـرب ومن هموم تضل المدلج الهادي
الا تخـبرني بالله خالقنـــــــــا من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد بلغتنا مننـــــا بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر وهو يقول : —

انا الشجاع الذي القيتني رمضـــا والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضـــن حاملـــه تكرماً منك لم تمنـــن بانكـــاد
فالخير ابقى وان طـــال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد
هذا جزؤك مـــني لا امـــن بـــه فاذهب حميداً رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وامر بالقصة فكتبت له والله اعلم .

نتيجة الكذب

ذكر الفضل بن الربيع قال صار الي عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد ارادني على البيعة له فجمع الرشيد بينهما فقال الزبيري لموسى

سعيتم علينا وارتم نقض دولتنا فالتفت اليه موسى فقال ومن انتم ؟ فغلب على الرشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه ثم قال موسى يا اميرالمؤمنين هذا الذي ترى المشنع علي خرج والله مع اخي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي على جدك المنصور وهو القائل من ابيات :

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يا بني حسن

في شطر طويل وليس سعايته يا أمير المؤمنين حباً لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعاً لكان معه وقد قال باطلا وانا مستحلفه فان حلف اني قلت ذلك فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد : احلف له يا عبد الله فلما اراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت آنفاً أنه قال لك ذلك قال عبد الله فانا احلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ان لم اكن ما حكيته عن موسى حقاً فحلف له فقال موسى الله اكبر حدثني ابي عن جدي عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب عن رسول الله (ص) أنه قال ما حلف احد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبه قبل ثلاث ووالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ وها أنا يا امير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك فتقدم بالتوكيل علي فان مضت ثلاثة ايام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد للفضل خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر في امره .

قال الفضل فوالله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت صراخ من دار عبد الله بن مصعب فأمرت من يتعرف خبره فعرفت انه قد اصابه الجذام وانه قد تورم واسود فصرت اليه فوالله ما كدت اعرفه لانه قد صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فصرت إلى الرشيد فعرفته خبره مما انقضى كلامي حتى اتى خبر وفاته فبادرت بالخروج وامرت بتعجيل أمره والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه فلما دلوه في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسفت به وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت احمال شوك تمر في الطريق فقلت علي بذلك الشوك فأتيت به فطرح تلك الوهده فما استقر حتى انخسفت ثانيه فقلت علي بالواح

سنة فطرحت على موضع قبره ثم طرح التراب عليها وانصرفت إلى الرشيد فعرفته الخبر وما عانيت من الامر فاكثر التعجب من ذلك وامرني بتخلية موسى بن عبد الله رضي الله عنه وان اعطيه الف دينار واحضر الرشيد موسى فقال له لم عدلت على اليمين المتعارفه بين الناس قال لانا روينا عن جدنا رضي الله عنه عن النبي (ص) من حلف بيمين مجد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته وما من احد حلف بيمين كاذبه نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل الله له العقوبه قبل ثلاث .

رؤيا منام للرشيد عجيبة

ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته قال اتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فنه فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فاذن لي في الدخول عليه فدخلت فوجدته قاعداً على فراشه فسلمت ساعة فطار علي وتضاعف الجزع علي ثم قال لي يا عبد الله اتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت لا والله يا امير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كان جيشاً قد اتاني ومعه حربة فقال لي ان لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه فقلت يا أمير المؤمنين اطلق موسى بن جعفر ؟ قلت ذلك ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر واعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وان احببت المضي إلى المدينة فالاذن في ذلك اليك قال فمضيت إلى الحبس لاخرجه فلما رآني موسى وثب الي قائماً وظن اني قد امرت فيه بمكروه فقلت لا تخف وقد امرني أمير المؤمنين باطلاقك وان ادفع اليك ثلاثين الف درهم وهو يقول لك ان احببت المقام قبلنا فلك ما تحب وان أحببت الانصراف إلى المدينة فالامر في ذلك مطلق اليك واعطيته الثلاثين الف درهم وخليت سبيله وقلت لقد رأيت من امرك عجباً قال فاني اخبرك بينما انا نائم اذ اتاني النبي (ص) فقال يا موسى حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فانك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بابي وامي ما اقول قال قل يا سامع كل صوت ويا سابق القوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت

اسألك باسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه احد من المخلوقين يا حليماً ذا اناة لا يقوى على ذاته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع ابداً ولا يحصى عددا فرج عني فكان ما ترى .

من دهاء معاوية

لقد بلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه ان رجلا من اهل الكوفه دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي اخذت مني بصفين فارتفع امرهما إلى معاوية واقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون انها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وامره بتسليم البعير اليه فقال الكوفي اصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا اني اقاتله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل وقد بلغ من امرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الاربعاء واعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا إلى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار ابن ياسرحين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته إلى ان جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير ومن غفلتهم انه قال رجل لرجل من اهل الشام من زعمائهم واهل الرأي فيهم من ابو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال اراه لصاً من لصوص الفتن .

فتى يخرج رَوْحَ بن زنباع بحيلة

كان بشر بن مروان اديباً ظريفاً يحب الشعر والسحر والسماع والمعاقره وقد كان اخوه عبد الملك قال له ان روحا عمك الذي لا ينبغي ان تقطع امراً دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا اهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه اخاف ان انبسطنا ان يكتب روح إلى امير المؤمنين بذلك واني لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلي فقال له بعض ندمائه من اهل العراق بحسن مساعدته

ولطيف حيلته انا اكفيك امره حتّى ينصرف عنك إلى امير المؤمنين غير شاك ولا لأثم فسر بشر ووعده الجائزة وحسن المكافأة ان هو تأتي له بوعده وكان روح شديد الغيرة وكانت له جارية اذا خرج من منزله إلى المسجد او غيره ختم بابه حتّى يعود بعد ان يقفله فأخذ الفتى دواة واتى منزل روح وكمن تحت الدرجه ولم يزل يحتال ليلته حتّى توصل إلى بيت روح فكتب على حائط في اقرب المواضع من مرقد روح .

يا روح من لبنيات وارملة اذا نعاك لاهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد حانت منيته فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا يغرنك ابكار منعمة واسمع هديت مقال الناصح الداعي

ورجع إلى مكانه بالدهليز فبات فيه فلما أصبح روح خرج إلى الصلاة فتبعه غلمانه والفتى متنكر في جملتهم مختلط بهم فلما عاد روح وفتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها فراعه ذلك وانكره وقال ما هذا فوالله ما يدخل حجرتي انسى سواي ولا حظ لي في المقام بالعراق ثم نهض إلى بشر فقال له يا ابن اخي اوصني بما احببت من حاجة او سبب عند امير المؤمنين قال اوتريد الشخوص يا عم قال نعم قال ولم هل انكرت شيئاً ورأيت قبيحاً لا يسعك المقام عليه قال لا والله بل جزاك الله خيراً عن نفسك وسلطانك ولكن امر حدث ولا بد لي من الانصراف إلى امير المؤمنين فاقسم عليه ان يخبره فقال له ان امير المؤمنين قد مات او هو ميت إلى ايام قال ومن اين علمت بذلك فاخبره بخبر الكتابة وقال ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة وما كتب ذلك الا الجن او والملائكة فقال له بشر اقم فاني ارجو ان لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شيء وسار إلى الشام فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقي روح عبد الملك انكر امره وقال ما اقدامك الا لحادثة حدثت على بشر او لامر كرهته فانني على بشر وحمد سيرته وقال لا بل لامر لا يمكن ذكره حتّى تخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وانشدت الابيات فضحك عبد الملك حتّى استغرق وقال ثقلت على بشر واصحابه حتّى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع .

كتاب لم يفهمه الحجاج

كتب عبد الملك إلى الحجاج وقال فيه انت عندي سالم فلم يعرف الحجاج ما اراد بذلك فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن ذلك وبعث بالكتاب مع رسول فلما ورد على قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول فخجل واستحيا فقرأه قتيبة واراد ان يقول له اقعد فقال اضرط قال قد فعلت فاستحيا قتيبة وقال ما اردت الا ان اقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت أنا وغلطت انت قال قتيبة ولا سواء اغلط انا من فمي وتغلط انت من استك اعلم الامير ان سالما كان عبد الرجل وكان عنده أثيراً وكان يسعى به اليه كثيراً فقال :

يديرو فن عن سالم واديرهـــــم وجلدة بين العين والانف سالم

فاراد عبد الملك انك عنده بمنزلة سالم فلما اتى الحجاج بالرسالة كتب له عهداً على خراسان .

وقد روى نحو هذا الخبر عن رجل كان في مجلس خالد بن عبد الله القسري فضرط فلما حضر الغد اقام ذلك الرجل فلما ولى قال له خالد اقعد فابى فقال له اقسمت عليك لتضرطن قال قد ضرطت فخجل خالد واعتذر عليه وامر له بمال واهدى إلى عبد الملك اترسة مكللة بالدر والياقوت فاعجبته وعنده جماعة من خاصته واهل خلوته فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد اغمز منها ترساً واراد ان يمتحن صلابته فقام فغمزه فضرط فاستضحك عبد الملك فضحك جلساؤه فقال كم دية الضرطة ؟ قال بعضهم اربعمائة درهم وقطيفة فأمر له عبد الملك بذلك فانشأ رجل من الجالسين .

ايضرط خالد من غمــز تــرس ويحبوه الامير بهـــا بـــدورا
فيا لك ضرطة جلبـــت غنـــاء ويا لك ضرطة اغنـــت فقــيرا
يود الناس لو ضرطوا فنالــــوا من المال الذي اعطـــى عشــيرا
ولو نعلم بـــان الضــرط يغــني ضرطنا اصلـــح الله الامــيرا

فقال عبد الملك اعطوه اربعة الاف درهم ولا حاجة لنا في ضرطه .

حيلة رَوْحَ بن زنباع على ارضاء عبد الملك

حكى ان روح بن زنباع جليس عبد الملك راى منه اعراضاً وجفوه فقال للوليد بن عبد الملك اما ترى ما انا فيه من امير المؤمنين باعراضه عني بوجهه حتى لقد فغرت السباع بافواهها نحوي واهوت بمخالبها الى وجهي فقال له الوليد احتل له في حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعواء الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وصهيل الخيل وغير ذلك ثم احتال حتى توصل إلى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه واخفى اثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك انه كلب فقال الملك انظروا ما هذا فعوى عواء الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هارباً ومضى الغلمان يتبعون الاثر والصوت فكلما دنو منه ترك ذلك الصوت واحدث صوتاً آخر من اصوات البهائم فاحجموا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فاخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مرزبان المضحك فضحك الملك ضحكاً شديداً وقال له ويلك ما حملك على هذا قال إن الله مسخني كلباً وذئباً وحماراً وكل خلق لما غضبت علي فأمر الملك بالخلع عليه ورده إلى مرتبته التي كان فيها وتجدد للملك به سروره فقال روح للوليد اذا اطمأن المجلس بامير المؤمنين فاسألني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح او يسمع مزاحاً قال الوليد افعل وكان بن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيئاً من المزاح فتقدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك قال الوليد لروح يا ابا زرعة هل كان بن عمر يمزح او يسمع المزاح قال روح حدثني به إلى عتيق ان امرأته عاتكه بنت عبد الرحمن المخزومية هجتة فقالت :

ذهب الاله بمـــــا تعيـش بــه ... وقمرت عيشــك ايمـــا قمــر
انفقت مالك غـــــير محتشـــم ... في كل زانيـــة وفي الخمـــر

وكان ابن ابي عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين في رقعه وخرج بهذا الشعر فاذا هو بابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انظر في هذه الرقعة واشر

علي برأيك فيها فلما قرأها عبد الله بن عمر استرجع فقال له ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال ارى ان تعفو او تصفح قال والله يا ابا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنّه نيكاً جيداً فاخذت ابن عمر رعدة واربد لونه وقال مالك غضب الله عليك قال ما هو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد ايام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في اذنه انها امرأتي فقام بن عمر فقبل ما بين عينيه وضحك وقال احسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجلـــه الارض وقال له قاتلك الله يا روح ما اطيب حديثك ومد يده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل اطرافه وقال يا امير المؤمنين الي ذنب فاعتذر ام لملالة فاصطبر وارجو عاقبتها قال لا والله ما ذاك لشيء تكرهه ثم عاد إلى احسن حالاته .

حكاية عبد الملك الهمداني

قال عبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سميراً لسليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه في قائم الظهيرة واحتدام الهجيرة فاستأذن فقال له الحاجب ليس هذا بوقت اذن على الامير فقال له اعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال سليمان مره يسلم قائماً ويخفف فخرج الحاجب فاذن له وامره بالتخفيف فدخل فسلم قائماً ثم قال اصلح الله الامير اني انصرفت بالامس إلى نحو منزلي وقد امسيت فبينما انا في طريقي اذ اذن مؤذن فدنوت ثم صعدت إلى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا ؟ قال فتقدم انسان اما كردي او طمطماني قام القوم بكلام ما افهمه ولغة ما اعرفها فقال ويل لكل زممة زما مالاً وعده عدا يريد ويل لكل همزة لمزة الذي جمع ما لا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقـل فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول ايرعبكي درليلكا في حرام قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى تمرغ على فراشه وقال ادن مني يا ابا محمد فانت عندي من اطيب امة محمد ثم دعا بخلعته وقال الزم الباب واغد في كل يوم وعاد إلى احسن حالاته عنده .

حكاية على لسان القمر

قيل للقمر ما انت ابن ليلة ؟ قال رضاع سخيلة حل اهلها رميله قيل فما انت لليلتين قال حديث امتين ذواتي افك ومين قيل فما انت لثلاث ؟ قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات وقيل فما انت لا ربع قال غنيمة رتع غير جائع ولا مرضع قيل فما انت لخمس قال حديث وانس قيل فما انت لست قال سر وبت قيل فما انت لسبع ؟ قال تصفر في الشفع وقيل دلجة الضبع قيل فما انت لثمان قال قمر أصبحان وقيل رغيف اقتسمه اخوان قيل فما انت لتسع ؟ قال تلتقط في الجرع قيل فما انت لعشر ؟ قال محق للفجر قيل فما انت لاحدى عشرة ؟ قال ارى مساء وارى بكره قيل فما انت لاثنّي عشره ؟ قال موفق للسير في البدو والحضر قيل فما انت لثلاث عشرة قال قمر باهر يغشى عين الناظر قيل فما انت لاربع عشره ؟ قال متقبل الشباب اضيء بين السحاب قيل فما انت لخمس عشرة ؟ قال ثم التمام ونفذت الايام قيل فما انت لست عشرة ؟ قال ناقص الخلق في الغرب وفي الشرق قيل فما انت لسبع عشرة ؟ قال ركب الفقير الفقر قيل فما انت لثمان عشره ؟ قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما انت لتسع عشرة ؟ قال بطيء الطلوع من الخشوع قيل فما انت لعشرين قال اطلع سحره وارى بكره قيل مما انت لاحدى وعشرين ؟ قال لا اطيل السرى الا ريثما ارى قيل فما انت لاثنين وعشرين ؟ قال مسفع خطب وليث حرب قيل فما انت لثلاث وعشرين ؟ قال قسمة ولا اجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين ؟ قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما انت لسبع وعشرين قال دنا ما دنا فليس في من سنا قيل فما انت لثمان وعشرين ؟ قال اطلع بكرا ولا ارى قيل فما انت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا اطيل الجلس قيل مما انت لثلاثين ؟ قال هلال مستقبل سريع الافل .

حكاية رجل ومحتال

كان يثغر الاسكندرية وال يقال له حسام الدين فبينما هو جالس في دسته ذات ليلة اذ أقبل عليه رجل وقال له اعلم يا مولانا الوالي اني دخلت هذه المدينة في هذه الليلة ونزلت في خان كذا ونمت فيه إلى ثلث الليل فلما انتهيت وجدت

خرجي مقدودا وقد سرق منه كيس فيه الف دينار فلم يتم كلامه حتى ارسل
الوالي واحضر المقدمين وامرهم باحضار جميع من في الخان وامر بسجنهم إلى
الصباح فلما جاء الصباح امر باحضار الة العقوبة واحضر هؤلاء الناس بحضرة
الرجل صاحب الدراهم واراد عقابهم واذا برجل قد اقبل وشق الناس حتى
وقف بين يدي الوالي والرجل صاحب المال فقال ايها الامير اطلق هؤلاء الناس
كلهم فانهم مظلومون وانا الذي اخذت مال هذا الرجل وها هو الكيس الذي
اخذته من خرجه ثم اخرجه من كمه ووضعه بين الوالي فقال الوالي للرجل خذ
مالك وتسلمه فما بقي لك على الناس سبيل وصار الناس وجميع الحاضرين يثنون
على ذلك الرجل ويدعون له ثم ان الرجل قال أيها الامير ما الشطارة اني جئت
اليك بنفسي واحضرت هذا الكيس وانما الشطارة في اخذ هذا الكيس ثانياً من
هذا الرجل فقال له الوالي وكيف فعلت يا شاطر حين اخذته فقال أيها الامير اني
كنت في مصر في سوق الصيارف اذ رأيت هذا الرجل لما صرف هذا الذهب
ووضعه في هذا الكيس فتبعته من سوق إلى سوق ومن مكان إلى مكان فلم اجد
لي إلى اخذ المال منه سبيلا ثم انه سافر فتبعته من بلد إلى بلد وصرت احتال عليه
في اثناء الطريق فما قدرت على اخذه منه فلما دخل هذه المدينة تبعته حتى دخل
في هذا الخان فنزلت إلى جانبه ورصدته حتى نام وسمعت غطيطه فمشيت اليه
قليلا قليلا وقطعت الخرج بهذه السكين واخذت الكيس هكذا ومد يده واخذ
الكيس من بين ايدينا وتأخر إلى خلف الوالي والرجل والناس ينظرون اليه
ويعتقدون انه يريهم كيف اخذ الكيس من الخرج واذا به قد جرى ورمى نفسه
في بركة فصاح الوالي على حاشيته وقال الحقوه وانزلوا خلفه فما نزعوا ثيابهم
ونزلوا في الدرج حتى كان الشاطر مضى إلى حال سبيله وفتشوا عليه فلم يجدوه
وذلك لان اسواق الاسكندرية كلها تنفذ إلى بعضها ورجع الناس ولم يحصلوا
الشاطر فقال الوالي لصاحب المال لم يبق لك عند الناس حق لانك عرفت غريمك
وتسلمت مالك وما حفظته فقام الرجل وقد ضاع ماله وسلمت الناس من العقاب

الفضل بن يحيى والاعرابي

ومما جاء من اخبـار البرامكه ما رواه الاصمعي قال خرج الفضل للصيـد والقنص وبينما هو في موكبه اذ رأى اعرابياً على ناقة قد اقبل من صدر البرية يركض في سيره قال : هذا يقصدني فلا يكلمه احد غيري فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن أنه أمير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال احفظ عليك ما تقول فقال السلام عليك أيها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من اين أقبلت يا أخا العرب قال من قضاعه قال من ادناها او من اقصاها قال من اقصاها قال يا اخا العرب مثلك من يقصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء الا ماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا أخا العرب ان البرامكـة خلق كثير وفيهم جليـل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افرزت لنفسك منهم من اخترته واتيته لحاجتك قال أجل اطولهم باعا واسمحهم كفا قال : من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا أخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاماً لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال أفأديب انت قال لا قال افعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا أخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باي ذريعة اوسيلة تقـدم عليه قال والله يا امير ما قصدتـه الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت إلى باديتك وان كنت لا تستحق بشعرك شيئاً قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني أقول :

ألم تران الجـود من عهـد آدم ... تحدر حتى صـار يمتصه الفضل
ولو ان أما مسهـا جوع طفلهـا ... غذته بإسم الفضل لاغتذأ الطفل

قال أحسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر اخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما فما تقول قال أقول :

قد كان آدم حين حـــان وفاتــه   اوصاك وهو يجود بالحوبـــاء
ببنيه ان ترعاهـــم فرعيتهـــم   وكفيت آدم عولـــة الانبـــاء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحناً هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدني غيرهما فما تقول وقد رمقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال إذن اقول : —

مات جهابـذ فضل وزن نائلـــه   ومل كتابه إحصـــاء ما يهـب
والله لولاك لم يمــــدح بمكرمـة   خلق ولم يرتفع مجد ولا حسـب

قال احسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما فما تقول قال اذن اقول : —

ولو قيل للمعروف نـــاد اخا العلا   لنادى باعلى الصوت يا فضل يافضل
ولو نفقت جدواك من رمل عالـج   لاصبح من جدواك قد نفد الرمل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضاً انشدني غيرهما فما تقول قال اقول : —

وما الناس الا اثنان صب وبـــاذل   واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثـلا اذا ذكر الـــورى   وليس لفضـل في سماحته مثـل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما فما تقول قال أقول ايها الامير .

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد   فقامت به التقوى وقام به العـدل
وقام به المعروف شرقاً ومغربـــاً   ولم يك للمعروف بعد ولا قبـل

قال احسنت فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم فما تقول قال اذن أقول .

الا يا ابا العباس يا واحـــد الورى ويا ملكا خذُ الملوك له نعـــل
اليك تسير الناس شرقــاً ومغربــاً فرادى وازواجاً كانهم نحـــل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غير الاسم والكنيه والقافيه قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما ما سبقني اليهن عربي ولا عجمي ولئن استزادني بعدها لاجمعن قوائم ناقتي هذه واجعلها في فم الفضل ولا رجعن إلى قضاعة خاسرا ولا ابالي فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابي يا اخا العرب اسمعني الابيات الاربعة قال اقول :

ولائمة لامتك يا فضـــل في النـــدى فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
اتنهين فضلا عن عطايـــاه للورى من ذا الذي ينهي السحاب عن القطر
كأن توال الفضـــل في كل بلـــدة تحدر ماء المزن في مهمــه قفــر
كان وفود الناس في كل وجهـــة إلى الفضل لاقول عنده ليلة القدر

قال فأمسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكاً ثم رفع رأسه وقال يا اخا العرب انا الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله أيها الامير انك لهو قال نعم قال له : فاقلني قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الاف درهم قال الفضل ازديت بنا وبنفسك يا أخا العرب تعطى عشرة الاف درهم في عشرة الاف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاي هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك الا اخذت سهمــاً من كنانتك وركبته في كبد قوسك واومــأت به إلى الاعرابي فان ردعن نفسه ببيت من الشعر والا فاستعطف مالك ويكون له في بعضه كفاية فاخذ الفضل سهماً وركبه في كبد قوسه واوماً به إلى الاعرابي وقال له رد سهمي ببيت من الشعر فانشأ يقول : —

لقوسك قوس الجود والوتر والندى وسهمك سهم العز فارم به فقري

قال فضحك الفضل وانشأ يقول :

اذا ملكت كفى منالا ولم أنــــل فلاانبسطت كفى ولا نهضت رجلي
على الله اخلاف الذي قد بذلتــه فلا مبق لي بخلي ولا متلفي بذلي
اروني بخيلا نـال مجـداً ببخلــه وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم ليكفينا شر قوم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي أإستقلالا للمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر : —

لعمرك ما الرزيــة فقــد مــال ولا فرس يموت ولا بعــير
ولكن الرزيـــة فقــدُ حــر يموت لموتــه خلــق كثـير

ثم انصرف الاعرابي مسروراً وقد ساق الله اليه الرزق ولم يمنع الحاسد رزق المحسود .

ابن المغازلي رجلا فكاهي

كان بن المغازلي رجلا يتكلم بالنوادر وكان نهاية في الحذق لا يستطيع من سمعه ان لا يضحك قال وقفت يوماً على باب الخاصه اضحك الناس واتنادر فحضر خلفي بعض خــدام المعتضد فاخذت في نوادر الخدم فاعجـب بذلك وانصرف ثم عاد فاخذ بيدي وقال دخلت فوقفت بين يدي سيدي المعتضد فتذكرت حكاياتك فضحكت فانكر علي وقال مالك ويلك فقلت على البـاب رجل يعرف بابن المغازلي يتكلم بحكايات ونوادر تضحك الثكول فامر باحضاري وحضرت بعد ان اشترط علي الخادم نصف الجائزة فقلت له انا صاحب عيال فلو اخذت سدس او ربع الجائزة فأبى ووافقت بنصف الجائزة وادخلني فسلمت فرد علي المعتضد السلام وهو يقرأ في كتاب فنظر في اكثره وانا واقف ثم اطبقه ورفع

رأسه الي وقال انت بن المغازلي قلت نعم يا مولاي قال بلغني انك تحكي وتضحك بنوادر عجيبة فقلت يا امير المؤمنين الحاجه تفتق الحيلة اجمع للناس حكايات غريبة اتقرب بها إلى قلوبهم فالتمس برهم فقال هات ما عندك فان أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم وان انا لم اضحك اصفعك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشيء لين خفيف والتفت فاذا جراب من ادم معلق في زاوية البيت فقلت ما اخطأ ظني عسى فيه ربح ان اضحكته ربحت واخذت الجائزة والا فعشر صفعات بجراب منفوخ شيء هين أخذت من النوادر والحكايات والنعاشة والعياره فلم ادع حكاية اعرابي ولا نحوى ولا قاض ولا ولا نبطي ولا سندى ولا زنجي ولا خادم ولا تركي ولا شاطر ولا عيار ولا نادره ولا حكاية الا احضرتها حتى نفذ كل ما عندي وتصدع رأس وفترت وبردت ولم يبق ورائي خادم ولا غلام الا وقد ماتوا من الضحك وهو مقطب لا يبتسم فقلت قد نفذ ما عندي ووالله ما رأيت مثلك قط فقال لي هبه ما عندك فقلت ما بقي لي سوى نادرة واحدة قال هاتها قلت وعدتني ان تجعل جائزتي عشر صفعات واسألك ان تضعفها لي وتضيف اليها عشر صفعات اخرى فاراد ان يضحك ثم تماسك وقال نفعل يا غلام خذ بيده ثم مددت ظهري فصفعت بالجراب صفعه فكانما سقطت علي قطعة من جبل واذا هو مملوء حصا مدور فصفعت عشراً فكادت ان تنفصل رقبتي وطنت اذناي وانقدح الشعاع من عيني فصحت يا سيدي نصيحة فرفع الصفع بعد ان عزم على العشرين فقال قـــل نصيحتك فقلت يا سيدي انه ليس في الديانة احسن من الأمانة واقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي ادخلني نصف الجائزة على قلها وكثرها وامير المؤمنين بفضله وكرمه قد اضعفها وقد استوفيت نصفي وبقي نصفه فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان سمغ فتحامل له فما زال يضرب بيديه الارض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن قال علي به فاتى به وامر بصفعه وكان طويلا فقال وما جنايتي فقلت له هذه جائزتي وانت شريكي فيها وقد استوفيت نصيبي منها وبقي نصيبك فلما اخذه الصفع وطرق قفاه الوقع اقبلت الومه واقول له قلت لك اني ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجه والمسكنة واقول لك خذ ربعها او سدسها وانت تقول لا آخذ الا نصفها ولو علمت ان امير المؤمنين اطال الله بقاه جائزته الصفع وهبتها لك كلها فعاد الامير إلى الضحك من عتابي للخادم

فلما استوفى نصيبه اخرج صرة فيها خمسمائة درهم.وقال هذه كنت اعددتها لك فلم يدعك فضولك حتّى احضرت شريكاً لك فقلت واين الامانة فقسمتها بيننا وانصرفت .

حكاية ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي

قال الرشيد لابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابن جامع باكروني غدا وليكن كل واحد قد قال شعراً ان كان يقدر ان يقوله وغنى فيه لحناً وان لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره قال ابراهيم بن المهدي فقمت في السحر وجهدت ان اقدر على شيء اصنعه فلم يتفق لي فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم اني اريد ان امضي إلى موضع لا يشعر بي احد حتّى اصير اليه وكانوا في زبيديات لي يبيتون فيها على باب داري فقمت فركبت في احداها وقصدت دار ابراهيم الموصلي وكان قد حدثني انه اذا اراد الصنعة لم ينم حتّى يدبر حاجته واعتمد على خشبة له فلم يزل يقرع عليها حتّى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه فجئت حتّى وقفت تحت داره فاذا هو يردد صوتاً أعده فما زلت واقفاً اسمع منه الصوت حتّى اخذته ثم عدونا إلى الرشيد فلما جلسنا للشرب خرج الخادم الي فقال يقول لك أمير المؤمنين يا بن ام غنّي فاندفعت فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتّى فرغت منه وامر لي بثلاثمائة الف درهم فوثب ابراهيم الموصلي فحلف بالطلاق ان الشعر له قاله البارحة وغنى فيه ما سبقه اليه احد فقال ابن المهدي يا سيدي فمن اين هو لي انا لولا كذبه وبهته وابراهيم يضطرب ويضج فلما قضيت اربي من العبث به قلت للرشيد الحق احق ان يتبع وصدقته فقال للموصلي اما اخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده وقد امرت لك بمائة الف درهم عوضاً مما جرى عليه فامر له بها فحملت اليه .

ثقيل وظريف

اهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء جملا ثم نول عليه حتى ابرمه فقال فيه :

يا مبرماً اهـدى جمـــــل	خذ وانصـرف الفى جمـل
قال ومـــا اوقارهـــــا	قلت زبيب وعســـــل
قال ومــن يقودهـــــا	قلت له الفـــا رجـــل
قال ومـن يسوقهـــــا	قلت له الفـــا بطـــل
قال ومـــا لباسهـــم	قلـت حـــلى وحلـــل
قال ومـــا سلاحهـــم	قلت سيوف واســـل
قال عبيـــــد لي اذا	قلت نعـم ثم خــــول
قال بهـــذا فاكتبـــوا	اذن عليكـــم لي سجـل
قلت لــه الفــي سجـــل	فاضمن لنـا ان ترتحـــل
قال وقـــد اضجرتكـــم	قلت أجـــل ثم أجـــل
قال وقـــد ابرمتكـــم	قلت له الامـــر جلـــل
قال وقـــد أثقلتكـــم	قلت له فـــوق الثقـــل
قال فـــاني راحـــل	قلت العجـــل ثم العجـــل
يا كوكب الشـــؤم ومـــن	اربي على نحـس زحـــل
يا جبلا مـن جبـــــل	في جبـــل فوق جبـــل

الحجاج وثلاثة فتية

أمر الحجاج صاحب حرسه ان يطوف بالليل فمن رآه بعد العشاء بوقت معين تضرب عنقه فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة من الفتيان وعليهم أمارات السكر فاحاطت بهم الغلمان وقال لهم صاحب الحرس من انتم حتى خالفتم أمر امير المؤمنين وخرجتم في مثل هذا الوقت فقال احدهم .

أنا ابن من دانت الرقاب لـــــه   ما بين مخزومهـــا وهاشمهـــا
تأتيه بالرغــــم وهي صاغـرة   فيأخذ من مالها ومـــن دمهـــا

فامسك عنه وقال لعلــه من اقارب امير المؤمنين ثم قال للآخر وانـــت مـن تكون : —

فقال :

انا ابن الذي لا تنزل الدهــر قدره   وان نزلت يوماً فسوف تعـود
ترى الناس افواجـاً إلى ضوء ناره   فمنهم قيام حولهـــا وقعـــود

فامسك عنه وقال لعله ابن اشرف العرب ثم قال للآخر وانت من تكون فانشد : —

انا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه   وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه منهمـــــا   اذا الخيل في يوم الكريهة ولـت

فامسك عن الآخر وقال لعله ابن اشجع الناس واحتفظ عليهم فلما كاد الصباح رفع امرهم إلى الحجاج فاحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثاني ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب فوالله لولا فصاحتهم لضربت اعناقهم وتمثل بهذا البيت

كن ابن من شئت واكتسب ادبـا   يغنيك محموده عن النســـب

المـأمون وراثي البرامكة

قال أحد خدم المأمون طلبني امير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لي احدهما علي بن محمد والاخر دينار واذهب مسرعاً لما اقول لك فانه بلغني ان شيخاً يحضر ليلا إلى آثار دور البرامكه وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلي ودينارحتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد فأتوني به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قداتي ومعه بساط وكرسي جديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات .

ولما رأيت السيف جندل جعفــرا	ونادى مناد للخليفـــة في يحي
بكيت على الدنيا وزاد تأسفـــــي	عليهم وقلت الان لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعاً شديداً وقال دعوني حتى اوصي بوصية فاني لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصيته وسلمها إلى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين فقال حين رآه من انت وبم استوجبت منك البرامكه ما تفعله في خرائب دورهم قال الشيخ يا أمير المؤمنين ان للبرامكة ايادي خطيرة عندي أفتأذن لي ان احدثك بحالي معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين نا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسي ورؤوس اهلي وبيتي الذي ولدت فيه أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون رجلا من اهلي وولدي وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت اعددتها لأستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكه فاذا انا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ حسن الزي وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم

رجلا واوخر اخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا بيحى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بمائة واثنا عشر خادماً قد اقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت اتلفت الي ورائي مخافة ان امنع من الذهاب فوصلت وانا كذلك إلى صحن الدار ويحي يلاحظني فقال للخادم ائتني بهذا الرجل فاتى بي اليه فقال ما لي اراك تتلفت يميناً وشمالا فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتاه به فقال له يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك ونعمتك فقبض موسى ولده على يدي وادخلني إلى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذ عيش واتم سرور فلما أصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في يدي القوم يداولونني على مدة عشر ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني في الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم فاخرج إلى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر الاخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونوراً واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي الف الف درهم وعشرة الاف دينار ومنشورا بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكه في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن البرامكة أنا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما

نزل بهم اجحفني عمرو بن مسعده والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الي وابكي على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعده فلما اتى به قال له أتعرف هذا الرجل قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكه قال كم الزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا فقال له رد اليه كل ما اخذته منه في مدته وافرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضاً من صنيع البرامكه لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى وصل خبري إلى أمير المؤمنين ففعل بي ما فعل من اين كنت أصل إلى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فرأيت المأمون قد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكه فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر .

اول من نطق بالشعر

آدم عليه السلام حين قتل قابيل اخاه هابيل قال : —

تغيرت البلاد ومن عليها	فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون	ولم ير في الدنا شيء مليح
بكت عيني وحق لها التباكي	وجفني بعد احبابي قريح

فاجابه ابليس عليه لعائن الله بقوله : —

تنوح على البلاد ومن عليها	وبالفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت به وعرسك في نعيم	من الدنيا وقلبك مستريح
فما زالت مكايدتي ومكري	إلى ان فاتك الثمن الربيح

ومستدير يروق العين بهجتـــه كأنه ملك نجم الدجا فيـــه
حروفه اربع قد ركبت فـإذا ما قلت اول حرف تم باقيـه

الجواب : الخاتم

وطائر في وكـــره نـــائم يطير في الارض باســـراره
حياته في قطـــع اوداجـــه وعيشه في قـــط منقـــاره
يكرع من مستنقـــع القار كي يأخذ بالمنقار مـــن قـــاره

الجواب : القلم

ومولودة لا روح فيهـا وانهـا لتقبل نفخ الروح بعد ولادهـا
وتسمو على الاقران في حومة الوغى ولكن سموا لم يكن بمرادهـا

الجواب البيضة في البيت الاول وفي الثاني بيضة الحرب

وناطقة خرساء باد شحوبهـــا تكنفها عشر عنهـــن تخـبر
يلذ إلى الاسماع رجع حديثهـــا اذا شد منهـا فخر جاش فخر

الجواب : شبابه

وما شيء له في الـــرأس رجـــل وموضع وجهـه منـه قفـــاه
اذا اغمضت عينك ابصرتـــــه وان فتحت عينك لا تـــراه

قيل الخيال وقد تكون من المحال

وجـــار هـــو نيـــــار ضعيف العقـــل ضـــوار
بلا لحـــــم ولا ريـــــش وهو في الرمـــز طيـــار
بطبع بارد جــــــداً ولكـــن كلـــه نـــار

الجواب : الزئبق

اي شيء تراه في الدور والكتب مجازاً هذا وذاك محقق
هو زوج وتارة هـــو فـــرد وهو في أكـــثر الاحايين يطرق
وطليق في نشأتيـــــه ولكـــن بحديـد من بعد ذلك يوثـــق

وهو في القلب يستوي وتــراه ... بان تصحيفه لمــن يترمـــق
فاجبني عنـــه بقيت مطاعـــاً ... لست في حلبة الفضائل تسبـــق

الجواب : باب

ما واقـــف في المخـــرج ... يذهب طـــورا ويجـــي
لست اخـــاف شـــره ... ما لم يكـــن بمرتـــج

الجواب : الباب

وما شيء حشـــاه فيـه داء ... واوله واخـــره ســـواء
اذا ما زال آخــــره فجمـع ... يكون الحد منـــه والضـاء
وان اهملت اولـه ففعـــل ... له بالرفع والنصب اعتنـــاء

الجواب : مدام

صفراء من غـــير علـــل ... مركوزة مثـــل الاســـل
كأنهـــا عمـــر الفـــتى ... والنـــار فيهـــا كالاجـــل

الجواب : الشمعه

وما حيوان عكســـه مثل طـرده ... له جسد سبط وليس له قلـــب
ضعيف وكم اغنت مجاجة ريقـــة ... فقيراً به أمسى ومربعه خصـــب
يرى من خشاش الارض طـــورا ... وتارة من الطير لكن دونه تسبل الحجب
شقي لنفع الغير يسجن نفســـه ... وليس له في السجن أكل ولا شرب

الجواب : دودة القز

وحمال اثقال البرية قــــــادر ... ويعجز ان حملته نصف درهم
يسير بايد الناس شرقـــا ومغربـــا . ... فيسري بلا رجل له سيراً رقـــم

الجواب : البحر

وما شيء يجوب الارض سبقاً | ويبصر ما اراد بغير عين
يشاهد ما تريد بلا لغوب | ولا يبرح بلا كدر ومين

الجواب : الفكر

وزائرتي كان بها حياءً | فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا | فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها | فتوسعه بانواع السقام

الجواب : الحمى

وما طائر يهوى الرياض تنزهاً | ويسرح في أفنانها ويغرّد
وفيه اخ ان تُهت عنه فاخته | تدل على ما قد عنيت وترشد

الجواب : الفاخته وقد كتب الجواب بالشعر الآتي

أيا من له مجد اثيل وسؤدد | غدا دون مرقاه سماك وفرقد
تفيد يسار المقترين يمينه | ويسراه من يمني الغمامة اجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل | على عودها في الروض تشدو وتنشد
وتجذبني بالطوق عند نشيدها | لنحو التصابي لا اطيق افند
ومذبان منها الطرف امست بعكسها | تخاف الردى ممن لها يترصد
وان سلبت ثاني الاخير فانه | على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فاولها مع ما يليه وطرفها | لنا فاه بالمعنى الذي فيه يقصد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ | وفي مفرق الجوزاء لواؤك يعقد
فخذه مبينا مغضيا عن اساءتي | فانك للاحسان اهل ومقصد

لغز

أي شيء من الجمادات يلقي | وتراه من بعد ذا حيواناً
وترى ذلك الجماد عزيزا | غالياً منه رصعوا تيجانا
وترى الروح منه في حيوان | ذي جناح ويألف الطيرانا
اذا ما شدا على العود يوماً | فوق دف يحرك الاغصانا

أو بدا في مفقص فابن بـــــرد   عند آشجاعـــة يصير مهانــاً
كلــــه طائـــر وفي ثلثيـــــه   لك ذواربـــع مع العكس بانــــا
كله عاطــــل بـه تتحـــــلى   كل خود وتستقـــــل الجمانــا
وتراه عنــــد الملـوك عظيمـــاً   وبتصحيفـــه حقيرا مهانــــــا
عكسه في تصحيفــه زد بنقــص   فالمعمي هنا فكـــن يقظانــــا
واذا لم تـــــدر التصاحيـــف ذره   للذي فيـــه فهو يدري البيانــــا
وبتحريفــه تؤدب من شئـــت   اذا كان يجهـــل العرفانـــــا
ثلثـــــاه در نفيـــــــس وفي   فيه اذا جاء يصحـــب المرجانا
لكن الثلث عنـــده نصف وحش   ذب عنـا تصحيفـه ما اعترانـا
وهو في البر نافـر واذا مـــــا   حضروه قد يألـــف الانسانـا
فافترسه بالحــل ان كنت ليثـــا   فهو لغز عن فضلــه قد ابانــــا

الجواب : دره

اي مغنى اعواده بيـــت شـــدو   مرقص مطرب وبالقلب صفـق
والمجموعـــــة النبـــاتيّ حســــن   فزت من بعضه بسجع المطوق

الجواب : القفص

وارتش مرهوف الشبات مهفهف   يشتت شمل الناس وهو جميـع
تدين له الافاق شرقـــاً ومغربـــاً   وتعنو له ملاكهـــــا وتطيـــع
حمى الملك مفطوما كما كان تحتمي   به الاسد في الاجام وهو رضيع

الجواب : القلم وفيه ايضاً

وذي خضوع راكـع ساجـــــد   ودمعه من جفنيــــــه جـــــار
ملازم الخمـــــــس في اوقاتها   منقطـــع في خدمـــة البـــاري

وفيه : ايضاً

فلا هو يمشي لا ولا هو مقعـــــد   وما ان له رأس ولا كف لا مس
ولا هو حي لا ولا هو ميـــــــت   ولكنه شخص يرى في المجالس

يزيد على سم الافاعي لعابه ... يدب دبيبا في الدجى والحنادس
يفرق اوصالا لصمت يجبنه ... وتفرى به بالاوداج تحت القلانس
اذا ما رأته العين تحقر شأنه ... وهيهات يبدوالنفس عندالكرادس

وفيه ايضاً

واهيف مذبوح على صدر غيره ... يترجم عن ذي منطق وهو ابكم
تراه قصيراً كلما طال عمره ... ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

وفيه ايضاً

بصير بما يوحى اليه وماله ... لسان ولا قلب ولا هو سامع
كان ضمير القلب باح بسره ... اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه ايضاً

واخرس ينطق بالمحكمات ... وجثمانه صامت أجوف
بمكة ينطق في خفية ... وبالشام منطقه يعرف

ومرضعة اولادها بعد ذبحهم ... لها لبن ما لذ يوما لشارب
وفي بطنها السكين والثدى رأسها ... واولادها مذخورة للنوائب

الجواب : الدواة

ما واحد مختلف الاسماء ... يعدل في الارض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء ... احمى يرى الارشاد كل راء
اخرس لا من علة او داء ... يغني عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء ... بالرفع والخفض عن النداء

الجواب : الميزان (يفصح ان علق في الهواء)

الاقل لاهل الرأي والعلم والادب ... وكل بصير بالامور لدى أرب
الا خبروني اي شيء رأيتم ... من الطير في ارض الاعاجم والعرب
قديم حديث قد بدا وهو حاضر ... يصاد بلا صيد وان جد في الطلب
ويؤكل احياناً طبيخاً وتارة ... قليا ومشويا اذا دس في اللهب
وليس له لحم وليس له دم ... وليس له عظم وليس له عصب

وليس له رجل وليس لـــه يد وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حي لا ولا هـو ميـت الا خبروني ان هـذا هو العجب

الجواب : البيضة

وذي اوجـه لكنـه غير بائح بسر وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهـه فتسمعها بالعين ما دمـت تنظر

الجواب : الكتاب

وصاحب لا امـل الدهر صحبتـه يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم القه مذ تصاحبنـا فحين بـدا لناظري افترقنـا فرقة الابـد

الجواب : الضرس

اتعرف شيئاً في السمـاء يطير اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبـا وكل أمير يعتليـه اسير
يحض على التقـوى ويكـره قربه وتنفر منه النفس وهـو نذير
ولم يستزر عن رغبـة في زيـارة ولكن على رغـم المزور يزور

الجواب : النعش

واسود عار انحل البرد جسمـه ومازال من اوصافه الحرص والمنع
واعجب شيء كونه الدهر حارسا وليس له عين وليس له سمـع .

الجواب : القفل

ومسرعة في سيرها طول دهرهـا تراها مدى الايام تمشي ولاتتعب
وفي سيرها ما تقطع الاكل ساعـة وتأكل معطول المدى وهي لاتشرب
وما قطعت في السير خمسـة اذرع ولا ثلث ثمن من ذراع ولااقرب

الجواب : الطاحونه

مطيـة فارسهـا راجـل تحمله وهولـهـا حامـل

واقفة في البـــاب مزدولـــة لا تشرب الدهـــر ولا تأكـــل

الجواب : الحذاء

ما اسم شيء حســـن شكلـــه تلقاه عند النـــاس موزونـــا
تراه معـــدودا فـــان زدتـــه واوا ونونا صـــار موزونا

الجواب : الموز

أي صغير ينمـــو على عجـــل يعيش بالريح وهي تهلكــــه
يغلب اقوى جســـم ويغلبـــه اضعف جسم بحيـــث يدركـــه

الجواب : النار

خــــبروني اي شــيء اوســع مـا فيــه فمــــه
وابنــه في بطنـــــه يـــر فســــــــه ويلكمـــه
وقد عـــــلا صياحـــــه ولم يجــــد من يرحمـــه

الجواب : الهاون ويده

وذات ذوائــــب تنجــر طـولا وراها في المجيء وفي الذهــاب
بعين لم تــذق للنـــوم طعمــــاً ولا ذرفت لدمع ذي انسكــاب
وما لبست مدى الايـــام ثوبـــا وتكسو الناس انواع الثيــاب

الجواب : ابرة الخياط

يـــا كاتبـــــا بفضلـــه كـــل اديــــب يشهـــد
ما اسم عليـــــل قلبـــه وفضلـــــــه لا يجحـــد
ليس بذي جســـم يـــرى وفيـــه عـــين ويـــد

الجواب : العيد

اسم من هـــاج خاطـــري اربع في صنوفـــــــه
فـــاذا زال ربعـــــه زال بـــاقي حروفـــــه

الجواب : غزال

يميت ويحي وهو ميــــت بنفســه   ويمشي بلا رجل إلى كل جانب
يرى في حضيض الارض طورا وتارة   تراه تسامى فوق طور السحائب

الجواب : الماء

عجبت لمحرومين من كـــل لذة   يبيتان طول الليل يعتنقـــان
اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا   وعند طلوع الفجـــر يفترقــان

الجواب : مصراعي الباب

وما أسم ثلاثي له النفـــع والضرر   له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس لـــه قفـا   وليس له سمع وليس له بصـر

الجواب : النار

اسـم من قـــــد هويتـــــه   ظاهــــــر في حروفـــه
فـــاذا زال ربعـــــــــه   زال بـــــاقي حروفـــه

جوابه : غزال

ومحبوس بـــلا ذنـــب جنـــاه   له في السجن ثوب من رصاص
اذا اطلقتــه وثـــب ارتفاعـــاً   يقبل فــاك من فرح الخـلاص

جوابه : كوز فقاع

وما ام يجامعهـــــــا بنوهــــا   وليس عليهم تجـــب الحدود
كانهم اذا ولجــــوا حشاهـــا   افاعي في مكامنهـــا رقـود

جوابه : الدواة

معشوقة لذوات العز قد صنعت   حزينة ما تراهـــا قط تبتســم
كأنها من صروف الدهر خائفــة   تبكي دماء على ما سطـر القلـم

الجواب : مرملة

ومقروحة الاجفان مثلي شجيــة   تناءت عن الاهلين أسقمها البعـد

تزوجهـا عشر وذاك محـــــرم ولا حرج كلا ولا وجب الحسد
اذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة يلين لها القلب لو انـــه صلـد

الجواب : شبابه

منقبــة مهمـــا خلت مع محبهـــا يزودهـــا لثمأ وينظرهـا شزرا
وتصحيفها في كف حاملها فقـــل اذاشئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

الجواب : شبابه

مكتبة وليـــس لهـــــا بنـــان منقبة وليس لهـــا نقـــــاب
تصبح لها اذا قبلـــت فاهـــــا أحاديث تلـــذ وتستطـــــاب
ويحلو المدح والتشبيب فيهـــــا وليســت لاسعـــــاد ولارباب

الجواب : الشبابة

اي شيء لذطعمه ناعم الملمس لـــين كيف لايبدو وضوحا
وهو في التصحيـــــف بـــين

الجواب : تـــين

إلى النســـــــاء يلتجـــــي وعندهـــــــــن يوجـــد
الجســــم منـــــه فضـــة والقلـــــب منـــــه جامـــد

الجواب : دملج

وذي عدد كالرمـــــل سام محلـــه جميل على كل الملاح لـــه حـــق
يحاذر من موسى ويرهـــب باســـه وفي قلب هارون له الهلك والمحق

الجواب : شعر الرأس

وجارية لولا الحوافـــر ما جرت اشاهدها تجري وليس لهـــا رجل
وترضع اولاداً ولا هي أمهـــــم وليس لها خل وليس لهـــا بعل

الجواب : ساقيه

وجارية تبكي اذا الليل جنهـــا بلا الم فيها ولا ضرب ضـارب
عليها رجال شنقـوا بعد حرقهم وما كان شنق القوم الا بواجب

الجواب : الساقية

وما اخت يجامعها اخوهــــا وليس عليهما فيـه جنـاح
ترى بجوازه الحكـــام طـرا وفي اعناقهم ذاك النكـــاح

الزرار وعروته

ايما اسـم تركيبــــه من ثلاث وهو ذو اربع تعــالى الالــه
حيوان والقلـــب منـه نسات لم يكن عنـد جوعـه يرعـاه
فيك تصحيفــه ولكـن اذا مــا رمت عكساً يكون لي ثلثـــاه

الفيل

يا ذا النهي ما اسم لــه حالـــة يحار فيها الذهـــن والفكـــر
له حروف خمســـة انمـــا ثلاثة منها لــــه شطــــــر

الشطرنج

وسوداء تشرب من رأسهــــا وان شئت تسقيـك من فرد يـد
ولونها مثـــل لـــون اختهـــا وثنتاهمـــا واحـد في العـــدد

الراوية

ما طائـــــر في قلبــــه يلــوح للنـاس عجـــب
منقـــاره في بطنــــــه والعين فيـــه في الذنـــب

بجع

واكلـة بغير فــم وبطـــن لها الاشجـار والحيوان قـوت
اذا اطعمتها ان انتعشت وعاشت وان اسقيتها ماء تمـــــوت

النار

قل لي فمـــا شي ء يرى ناعما منتصب القامة طول الزمـــان
اطول من شــبر لـــه حـزة مفيشل الرأس قوي الجنـــان
يسمع في القعر لـــــه رنـــة ويظهر الصفق باعلى مكـــان

يد الهاون

وما قبـــة مبنيـــة فوق شاهـــق لها علم يحكى الملاحة بالظـرف
واولادها في بطنهـا في جماعـــة يكونون الفا او يزيدون عن الف.
ويأخذها الطفل الصغـير بجهلـه ويقلبها عسفـــا على راحـة اليد

الخشخاش

وما شيء له حـــد وخــــــد يكلم من يلامســـه بحلقـــــه
وكـل حلقـــه من تحـــت رأس والرأس صـارت تحـت حلقه

موسى

ما بلـــدة بالشــام قلـب اسمهـــا تصحيفه أخرى بارض العجــم
وثلثـــه ان زال من قلبـــــــه وجدته طير شجـي النغـــــم

حلب

وما اسم سداسي اذا ما لمحتـــــه ترى فيه اجزاء تـــذم وتشكـر
له ثلث يأتي به الموت فجــــــأة وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله يا صـــاحي لـه على مدى الايام نشر معطــــر
وفي نصفـــه لما تحــرك بعضــه حديث شهي في الليالي يذكــر
وفي نصفـه الثاني اذا ما اعدتـــه إلى النار للتحليـــل والعقد سكر
ففسر لناذا اللغز ان كنت ذا حجى فليسَ على ذي العقل لغز معسر

سمرقند

يا ايهـــا العطـــــار اعرب لنا عن شيء قــــل في سومـــك
تراه بالعـــــين في يقظـــــة كما ترى بالقلب في نومـــك

الكمون

ذم دار

قد احسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن [illegible] ك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال :

دار سكنـت بهـا أقـل صفاتهـا ... ان تكثر الحشـرات في جنباتها
الخير عنهـا نازح متباعـــد ... والشر دان من جميع جهاتهـا
من بعض ما فيها البعوض عدمتـه ... كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث مـتى ... غنت لها رقصت على نغماتهـا
رقص بتنقيـط ولكـن قافـه ... قد قدمت فيه على اخواتهـا
وبها ذباب كالضبـاب يسد عين ... الشمس ما طربى سوى غناتها
ابن الصوارم والقنا من فتكهـا ... فينا وابن الاسد من وثباتهـا
وبها من الخطاف ماهـر معجـز ... ابصارنا عن وصف كيفياتهـا
وبها خفافيش تطير نهارهـا ... مع ليلها ليست على عاداتهـا
وبها من الجرذان مـا قـد قصرت ... عنه العتاق الجرد في حملاتهـا
وبها خنافس كالطنافس افرشـت ... في ارضها وعلت على جنباتها
لوشم اهل الحرب منتن فسوهـا ... اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لهـا ... مما يفوت العين كنـه ذواتهـا
ابـدا تمص دماءنا فكأنهـا ... حجامة لبدت على كاساتهـا
وبها من النمـل السليماني مـا ... قد قل ذر الشمس عن ذراتهـا
ما راعني شيء سوى وزغاتهـا ... فتعوذوا بالله من لدغاتهـا
سجعت على اوكارهـا فظننتها ... ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظـن عقاربـا ... حر السموم أخف من زفراتهـا
وبها عقارب كالاقـارب رتـع ... فينا حمانا الله لـدغ حماتهـا
كيف السبيل إلى النجـاة ولا نجا ... ة ولا حياة لمن رأى حياتهـا
منسوجة بالعنكبـوت سماؤها ... والارض قد نسجـت على آفاتها
فضجيجها كالرعد في جناتهـا ... وترابها كالرمـل في خشناتهـا
واليوم عاكفـة على ارجائهـا ... والدود يبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيهـا اذا جـن الدجى ... تحكي الخيول الجرد في حملاتهـا

والنار جزء من تلهـــب حرهـــا وجهنم تعزي إلى لفحاتهـــــا
شاهدت مكتوباً على ارجائهــــــا ورأيت مسطوراً على جنباتهـــا
لا تقربوا منهـــــا وخافوهـــا ولا تلقوا بايديكم إلى هلكاتهـــــا
ابدا يقـول الداخلـــون ببابهــــــا يا رب نج الناس من آفاتهـــــا
قالوا اذا ندب الغراب منـــــازلا يتفرق السكـــان من ساحاتهـــا
وبدارنا الفا غراب ناعــــــــــق كذب الرواة فاين صدقَ رواتها
صبرا لعل الله يعقـــــب راحـــة للنفس اذ غلبت على شهواتهـــا
دار تبيت الجن تحـرس نفسهـــــا فيها وتندب باختلاف لغاتهـــا
كم بت فيها مفرداً والعـين مــن شوق الصباح تسح من عبراتهـا
واقول يا رب السموات العــــلا يا رازقاً للوحش في فلواتهـــــا
اسكنتني بجهنم الدنيـــــا ففـــــي اخر اي هب لي الخلد في جناتها
واجمع بمن اهواه شملي عاجـــلا يا جامع الارواح بعـد شتاتهـــا

رحلة الامام الشافعي

قال ربيع بن سليمان سمعت الامام الشافعي رضي الله عنه يقول فارقت مكة وانا ابن اربع عشرة سنة لا نبات بعارضي من الابطح إلى ذوي طوى وعلي بردتان يمانيتان فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا علي السلام ووثب إلي شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا ما حضرت طعامنا قال الشافعي كنت أعلم انهم احضروا طعاماً فاجبت مسرعاً غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فاخذت كاخذهم كي لا يستبشع عليهم مأكلي والشيخ ينظر الي ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله واثنيت عليه فاقبل علي الشيخ وقال أمكي أنت قلت مكي قال اقريشي أنت قلت قريشي ثم اقبلت عليه و قلت يا عم بم استدللت علي قال اما في الحضر فبالزي واما بالنسب فبأكل الطعام لانه من احب ان يأكل طعام الناس احب ان يأكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصاً قال فقلت للشيخ من اين انت قال من يثرب مدينة الرسول (ص) فقلت له من العالم فيها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي باخبار رسول الله (ص) قال سيد بني اصبح مالك بن انس رضي الله عنه قلت واشوقاه إلى مالك فقال لي قد بل الله

شوقك انظر إلى هذا البعير الاورق فانه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتّى تصل إلى مالك فما كان غير بعيد حتّى قطروا بعضها إلى بعض واركبوني البعير الاورق واخذ القوم في السير واخذت انا في الدرس فختمت من مكه إلى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمه وبالنهار ختمه ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله (ص) ودنوت من القبر فسلمت على النبي (ص) ولذت من جانب القبر فرأيت مالك بن انس متزرا ببردة ومتوشحاً باخرى قال حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده إلى قبر الرسول (ص) فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فاخذت عودا من الارض فجعلت كلما أملى مالك حديثاً كتبته بريقي على يدي والامام مالك رضي الله عنه ينظر الي من حيث لا اعلم حتّى انقضى المجلس وانتظرني مالك أن انصرف فلم يرني انصرفت فاشار الي فدنوت منه فنظر الي ساعة ثم قال أحرمي أنت قلت نعم قال أمكي انت قلت مكي قال اقريشي انت قلت قريشي قال كملت اوصافك لكن فيك اساءة ادب قلت وما الذي رأيت من سوء ادبي قال رأيتك وانا أملي الفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت اكتب ما تقول فجذب مالك يدي اليه فقال ما ارى عليها شيئاً فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته إلى حين قطعت فتعجب الامام مالك من ذلك فقال أعد علي ولو حديثاً واحداً فقلت حدثنا مالك عن نافع عن بن عمر واشرت بيدي إلى القبر كإشارته حتّى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثاً حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب واقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسألني النهوض معه فقمت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلني الغلام إلى خلوة في الدار وقال لي القبلة في البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء فما لبث مالك رضي الله عنه حتّى اقبل هو والغلام حاملا طبقاً فوضعه من يده وسلم الامام علي ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الاناء واراد ان يغسل علي اولا فصاح عليه مالك وقال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي اخر الطعام للضيف فاستحسنت ذلك من الامام مالك وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس لى كرمه فحكمه ان يبتدىء بالغسل وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه

فكشف الامام مالك الطبق فكان فيه صحفتان في احداها لبن والاخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت انا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت لا عذر على من احسن انما العذر على من اساء قال الشافعي رضي الله عنه فاقبل مالك يسألني عن اهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عني وقال حكم المسافر ان يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتي فلما كان في الثلث الأخير من الليل قرع علي مالك الباب فقال لي الصلاة يرحمك الله فرأيته حاملاً اناء فيه ماء فتبشع علي ذلك فقال لي لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الامام مالك في مسجد رسول الله (ص) والناس لا يعرف بعضهم بعضاً من شدة الغلس وجلس كل واحد منا في مصلاه يسبح الله تعالى إلى ان طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك في مجلسه بالامس وناولني الموطأ امليه واقرؤه على الناس وهم يكتبونه فأتيت على حفظه من اوله إلى آخره واقمت ضيف مالك ثمانية اشهر فما علم أحد من الانس الذي كان بيننا اينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجتهم للزيارة واستماع الموطأ فامليت عليهم حفظا منهم عبد الله بن عبد الحكيم واشهب وابن القاسم قال الربيع واحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبي (ص) فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيراً فسألته عن اسمه فاخبرني وسألته عن بلده فقال العراق فقلت اي العراق فقال لي الكوفه فقلت من العالم بها والمتكلم في نص الكتاب والمفتي باخبار رسول الله (ص) فقال لي ابو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا ابي حنيفة رضي الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لي في غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له خرجت من مكة في طلب العلم بغير استئذان العجوز افاعود اليها او ارحل في طلب العلم فقال لي العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة الم تعلم ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه فلما ازمعت على السفر زودني الامام مالك رضي الله عنه فلما كان في السحر سار معي مشيعاً إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكري راحلته إلى الكوفه فاقبلت عليه وقلت بم تكتري وليس معك ولا معي شيء فقال لي انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة اذ قرع علي الباب قارع فخرجت اليه فاصبت ابن القاسم فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع لي صرة فيها مائة دينار قد اتيتك

بنصفها وجعلت النصف لعيالي فاكترى لي باربعة دنانير ودفع الي الباقي وودعني وانصرف وسرت في جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع وعشرين من المدينة فدخلت المسجد وصليت العصر فبينما انا كذلك اذ رأيت غلاماً قد دخل المسجد وصلى العصر .فما احسن الصلاة فقمت اليه ناصحاً فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي انا اظن انك من أهل الحجاز لان فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة اهل العراق وانا اصلي هذه الصلاة خمسة عشر سنة بين يدي محمد بن الحسن وابي يوسف فما عابا على صلاتي قط وخرج معجباً ينفض رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وابا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما في صلاتي من عيب فقالا اللهم لا قال ففي المسجد هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل في الصلاة فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد اليهما واعلمهما بالجواب فعلما انه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب اليه فقل له ما الفرضان والسنة فقلت له اما الفرض الاول فالنية والثاني تكبيرة الاحرام واما السنة فهي رفع اليدين فعاد اليهما فاعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فلما نظرا الي اظنهما ازدرياني فجلسا ناحية وقالا اذهب اليه وقل له اجب الشيخين فلما اتاني علمت اني مسؤول عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم ان يؤتى اليه وما علمت لي اليهما حاجة فقاما من مجلسيهما الي فلما سلما علي قمت اليهما واظهرت البشاشة لهما وجلست بين ايديهما فاقبل علي محمد بن الحسن وقال أحرمي أنت فقلت نعم فقال اعربي ام مولى فقلت عربي فقال من اي العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من قلت من ولد شافع قال رأيت مالكا قلت من عنده أتيت قال لي نظرت في الموطأ قلت اتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسألة في الطهارة ومسألة في الزكاة ومسألة في البيوع والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب في القصة مسألة وجعل بين كل مسئلتين بياضاً ودفع إلى الدرج وقال اجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ فأجبت بنص كتاب الله وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت اليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك قال ثم سألني النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال العبد لي ان سيدي أمرني ان لا تسير إلى المنزل الا راكباً فقلت له قدم فقدم الي بغلة

بسرج محلي فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثه فطاف بي ازقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت ابواباً ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق اهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة واهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل علي محمد بن الحسن وانا في بكائي فقال لا يروعك يا ابا عبد الله ما رأيت فما هو الا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض واني أخرج زكاتها في كل عام فاسر بها الصديق واكبت بها العدو فما بت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بالف درهم ثم دخل خزانته فاخرج إلي الكتاب الاوسط تأليف الامام ابي حنيفة فنظرت في اوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي اتحفظه فما اصبحت الا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشيء من ذلك وكان المشهور بالكوفه بالفتوي والمجيب في النوازل وانا قاعد عن يمينه في بعض الايام اذ سئل عن مسألة وأجاب فيها وقال هكذا قال ابو حنيفة فقلت قد وهمت في الجواب في هذه المسألة والجواب عن قول الرجل كذا وكذا وهذه المسألة تحتها المسألة الفلانية وفوقها المسألة الفلانية في الكتاب الفلاني فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فاحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج الي كتاباً بعد هذا واستأذنته في الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عني وبذل لي في مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت ولا لذا أردت ولا رغبتي الا في السفر قال فأمر غلامه ان يأتي بكل ما في خزانته من بيضاء وحمراء فدفع الي ما كان فيها وهو ثلاثة الاف درهم واقبلت أطوف العراق وارض فارس وبلاد الاعاجم والقى الرجل حتى صرت ابن احدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق في خلافة هرون الرشيد فعند دخولي الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال لي ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعي فقال مطلبي فقلت أجل فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلى سبيلي فأويت إلى بعض المساجد افكر في عاقبة ما فعل حتى اذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد واقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتو علي فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بامير المؤمنين سلمت عليه سلاماً بينا فاستحسن الالفاظ ورد علي الجواب ثم قال تزعم انك من بني هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل

زعم في كتاب الله باطل فقال ابن لي عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لي الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا في رجل من ولد المطاب هل لك ان اوليك قضاء المسلمين واشاطرك ما انا فيه وتنفذ فيه حكمك وحكمي على ما جاء به الرسرل عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الامة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتني ان افتح باب القضاء بالغداة واغلقه بالعشي بنعمتك هذه ما فعلت ذلك ابدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيء قلت يكون معجلا فامر لي بالف دينار فما برحت من مقامي حتى قبضتها ثم سألني بعض الغلمان والحشم ان أصلهم من صلتي فلم تسع المرؤة ان كنت مسئولا غير المقاسمة فيما انعم الله به علي فخرج لي قسم كاقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذي كنت فيه في ليلتي فتقدم يصلي بنا غلام صلاة الفجر في جماعة فاجاد القرآءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام افسدت علينا وعلى نفسك اعد فأعاد مسرعاً واعدنا ثم قلت له أحضر بياضاً أعمل لك باب السهو في الصلاة والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله عز وجل علي فالفت له كتاباً من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو اربعون جزءاً يعرف بكتاب الزعفران وهو الذي وضعته بالعراق حتى تكامل في ثلاث سنين وولاني الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى في قبته فلما أشرت اليه بالسلام امر قائد القبة ان اقف واشار الي بالكلام فسألته عن الامام مالك وعن الحجاز اجاب بخير ثم عاودته إلى السؤال عن مالك فقال لي اشرح لك أواختصر قلت في الاختصار البلاغة فقال في صحة جسم وله ثلثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود اليها إلى سنة فقد اختصرت لك خبره فاشتهيت ان اراه في حال غناه كما رأيته في حال فقره فقلت له اما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال انك لتوحشني خاصة واهل العراق عامة وجميع مالي فهو لك فقلت له فيم تعيش قال بالجاه ثم نظر الي وحكمني في ماله فاخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فاتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسي شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسي واخذ القليل من شعري دخل القوم من اعيان البلد فدعوه إلى خدمتهم فسارع اليهم وتركني فلما قضوا ما ارادوا منه عاد الي فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ما كان معي من الدنانير وقلت له خذ

هذه واذا وقف بك غريب لا تحتقره فنظر الي متعجباً فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبني الناس فبينما انا كذلك اذ خرج بعض من كان في الحمام من الاعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابي لهم فأنحدر عن بغلته بعد ان استوى عليها وقال لي أنت الشافعي قلت نعم فمد الركاب مما يليني وقال بحق الله اركب ومضى بي الغلام مطرقاً بين يدي حتّى اتيت إلى منزل الفتى ثم اتى وقد حصلت في منزله فاظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدي فقال مالك يا عبد الله فقلت له طعامك حرام علي حتّى اعرف من اين هذه المعرفة فقال انا ممن سمع منك الكتاب الذي وضعته ببغداد وانت لي استاذ فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصله فأكلت بفرحة اذ لم يعرف الله تعالى الا بيني وبين ابناء جنسي واقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لي حول حران اربع ضياع ما بحران احسن منها اشهد الله ان اخترت المقام فانها لك هدية مني اليك فقلت فيم تعيش قال بما في صناديقي تلك واشار اليها وهي اربعون الف درهم وقال اتجربها فقلت ليس إلى هذا قصدت ولا خرجت من بلـــدي لغير طلب العلم فقال فالمال اذا من شأن المسافر فقبضت الاربعين الفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدي احمال ثم تلقاني الرجال واصحاب الحديث منهم احمد بن حنبل وسفيان بن عيينة والاوزاعي فاجزت كل واحد منهم على قدر ما قسم له حتّى دخلت مدينة الرملة وليس معي الا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل إلى منهل حتّى وصلت إلى مدينة النبي (ص) بعد سبعة وعشرين يوماً بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسياً من الحديد عليه مخدة من قباطي مصر مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله (ص) وحوله اربعمائة دفتر او يزدن وبينما انا كذلك اذ رأيت مالك بن انس رضيء الله عنه قد دخل من باب النبي (ص) وقد فاح عطره في المسجد وحوله اربعمائة او يزيدون يحمل ذيوله منهم اربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعداً وجلس على الكرسي فالقى مسئلة في جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعني الصبر فقمت قائماً في سور الحلقة فرأيت انساناً فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك واقبــل على اصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم واصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما القى السؤال

الثاني اقبل علي الجاهل يطلب مني الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليـه مالك فبادر إلى اصحابـه واستخبرهم عن الجـواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم واصاب الرجـل فلمـا القى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فاعرض مالك عنه واقبل على اصحابه فخالفوه فقال اخطأتم واصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من أين قال إلى جانبي غلام شاب يقول لي قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس باعناقهم لالتفات مالك رضي الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذي كان الجاهل فيه جالساً بين يديه فتأملني ساعة وقال أنت الشافعي فقلت نعم فضمني إلى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذي نحن فيه حتى ننصرف إلى المنزل الذي هو لك المنسوب الي فالقيت اربعمائة مسألة في جراح العمد فما اجابني احد بجواب واحتجت ان آتي باربعمائة جواب فقلت الاول كذا وكذا والثاني كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الي فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الاول فبكيت فقال مم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله ان قد بعت الاخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفساً وقرعينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجي من اقاصي الدنيا وقد كان النبي (ص) يقبل الهدية ويرد الصدقة وان لي ثلاثمائة خلعة من زق خراسان وقباطي مصر وعندي عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية مني لك وفي صناديقي تلك خمسة الاف دينار اخرج زكاتها عند كل حول فلك مني نصفها قلت انك موروث وانا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت خاتمي ليجري ملكي عليه فان حضرك اجلك كان لي دون ورثتك فتبسم في وجهي وقال ابيت الا العلم فقلت لا يستعمل احسن منه وما بت الا في جميع ما وعدني به تحت ختمي فلما كان في غداة غد صليت الفجر في جماعة وانصرفت إلى المنزل انا وهو وكل واحد منا يده في يد صاحبه اذ رأيت كراعاً على بابه من جياد خراسان وبغالا من مصر فقلت ما رأيت كراعاً احسن من هذا فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت له دع لك منها دابة فقال اني استحي من الله

ان اطأ قرية فيها نبي الله(ص) بحافر دابة فعلمت ان ورع الامام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت إلى مكة وانا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبري فلما وصلت إلى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتني إلى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت آلفها دعوها خالتي وقالت ليس املك اجتاحت المنايا كل فؤاد عليك ام وهي اول كلمة سمعتها في الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لي العجوز إلى أين عزمت فقلت إلى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيراً وتعود اليها مسترفاً تفخر على بني عمك بذلك فقلت ما اصنع فقالت ناد بالابطح في العرب يا شباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الاخرة ففعلت ما امرتني به وصار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الي يستحثني على الفعل ويعدني ان يحمل الي في كل عام مثل ما صار الي منه وما دخلت إلى مكه وانا اقدر على شيء مما جاء معي الاعلى بغلة واحدة وخمسين ديناراً فوقعت المقرعة فناولني اياها أمة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لي العجوز ما انت صانع فقلت اجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ما معي ودخلت مكه فما بت تلك الليلة الا مديونا واقام مالك رضى الله عنه يحمل إلي في كل عام مثل ما كان دفع الي اولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بي الحجاز وخرجت إلى مصر فعوضني الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته في سفري ذلك يا ربيع قال الربيع وسألني المزنى املاء ذلك عليه فما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى احد غيري .

قصة اولاد نزار بن معد والافعى الجرهمي

ذكر الامام بن الجوزي وغيره قال لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسم ماله بين بنيه وهم اربعة مضر وربيعة واياد وانمار وقال يا بني هذه القبة وهي من ادم حمراء وما اشبهها من المال لمضر وهذا الخباء الاسود وما اشبهه من المال لربيعة وهذه الخادم وما اشبهها من المال لاياد وهذه البدره والمجلس لانمار يجلس فيه ثم قال لهم ان اشكل عليكم الامر في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالافعى بن الافعى الجرهمي وانه لما مات نزار توجهوا إلى الافعى وكان ملك بنجران فبينما

هم سائرون اذ رأى مضر كلأ قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو ازور وقال اياد وهو ابتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل فسألهم عن البعير فقال مضر أهو اعور قال نعم قال ربيعة اهو ازور قال نعم قال اياد اهو ابتر قال نعم قال انمار أهو شرود قال نعم هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له انهم ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدقكم وانتم تصفون بعيري بصفته ثم سار معهم حتى قدموا نجران ونزلوا بالافعى الجرهمي فنادى الشيخ صاحب البعير هؤلاء اصابوا بعيري فانهم وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره ايها الملك فقال الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته رعى جانباً وترك جانباً فعلمت أنه اعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر فعرفت انه افسدها بشدة وطئه لازورراه وقال اياد رأيت بعره مجتمعاً فعلمت أنه أبتر ولو كان ذيا لامصع به وقال أنمار رأيته رعى الملتف نبته ثم جاوزه إلى مكان آخر ارق منه فعلمت انه شرود فقال الافعى للشيخ ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فاخبروه فرحب بهم ثم قال اتحتاجون الي وانتم كما ارى فدعا لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا فقال مضر لم ار كاليوم خمراً اجود لولا انها على مقبرة وقال ربيعة لم ار كاليوم لحماً اجود لولا أنه ربي بلبن كلبة وقال إياد لم ار كاليوم رجلا أسر منه لولا انه ليس بابن ابيه الذي يدعى اليه وقال انمار لم ار كاليوم خبزاً أجود لولا ان التي عجنته حائض وكان الافعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم فاعلمه بما سمع منهم فطلب صاحب شرابه وقال له الخمرة التي جئت بها ما قصتها قال هي من كرمة غرستها على قبر ابيك لم يكن عندنا شراب اطيب من شرابها وقال للراعي اللهم ما أمره قال من لحم شاة ارضعناها بلبن كلبة ولم تكن في الغنم اسمن منها فدخل داره وسأل الامة التي عجنت العجين فاخبرته أنها حائض ثم اتى امه وسألها عن ابيه فاخبرته انها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا نزل بهم من نفسها فوطئها فاتت به فعجب من امرهم ودس عليهم من سألهم عما قالوا فقال مضر انما علمت انها من كرمة غرست على قبر لان الخمر اذا شربت ازالت الهم وهذه بخلاف ذلك لانا لما شربناها دخل علينا الغم وقال ربيعة انما علمت ان اللحم لحم شاة رضعت من لبن كلبة لان لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق لحمها الا الكلاب فانها عكس ذلك فرأيته موافقاً له فعلمت انه لحم شاة رضعت من كلبه فاكتسب اللحم

منها هذه الخاصية وقال اياد انما علمت أن الملك ليس بابن ابيه الذي يدعى اليه لانه صنع لنا طعامنا ولم يأكل معنا فعرفت ذلك من طباعة لان اباه لم يكن كذلك وقال انمار انما علمت ان الخبز عجنته حائض لان الخبز اذا فت انتفش في الطعام وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض فاخبر الرجل الافعى بذلك فقال ما هؤلاء الا شياطين ثم أتاهم فقال لهم قصو قصتكم فقصوا عليه ما اوصاهم بـه ابوهم وما كان من اختلافهم فقال ما اشبـه القبـه الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والابل وهي حمر فسميت مضر الحمراء ثم قال وما اشبه الخباء الاسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسميت ربيعة الفرس ثم قال وما اشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فهو لاياد فصارت له الماشية البلق من الخيل وغيرها وقضى لانمار بالدراهم والارض فساروا من عنده على ذلك .

ابراهيم المهدي والمأمون

كان ابراهيم بن المهدي أخو هارون الرشيد ادعى الخلافة بالري بعد موت اخيه في زمن امير المؤمنين المأمون ومكث مالكا للرى نحو ثلاثين شهراً ثم دخل المأمون إلى الري فاختفى عمه ابراهيم فجد في طلبه وجعل لمن أتاه به مائة الف دينار فقال ابراهيم فخفت على نفسي وتحيرت في امري وضاقت علي الارض فما ادري اين اتوجه فخرجت من داري متنكراً وقت الظهرة وكان يوماً شديد الحر فوقعت في شارع غير نافذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون قد عرضت نفسي للعطب ان عدت على أثري يرتاب في امري وانا على حالة المتنكر فرأيت في صدر الشارع عبداً اسود قائماً على باب داره فذهبت اليه وقلت هل عندك موضع أقيل فيه ساعة من النهار ؟ قال نعم ففتح الباب وقال ادخل فدخلت إلى بيت نظيف فيه فرش وبسط ومخادع من الجلود النظيفة ثم أغلق الباب على ومضى فتوهمت أنه طمع في الجعالة وانه خرج يدل علي فصرت في بيته كالحب في القلي على الجمر فبينما أنا كذالك اذ أقبل ومعه حمال معه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديده وجرة وكيزان جدد فحط عن الحمال وصرفه ثم التفت إلي وقال جعلني الله فداك يا سيدي انا رجل حجام وانا اعلم انك تعرف مـا

اتولاه من معيشتي وربما لا تقبله نفسك فشأنك وهذه الاشياء التي لم تقع عليها يد فافعل ما تريد بها وولى عني وكنت في جوعة عظيمة فطبخت لنفسي قدرا ما اذكر اني أكلت الذ منها فلما قضيت اربي من الأكل قال لي يا مولاي هل لك في الشراب فانه يسلي الهم ويطيب النفس ويذهب الغم ؟ فقلت لا اكره ذلك رغبة في مؤانسته فجاءني باواني زجاج جديدة لم تمسها يد وجرار مطينة وقال يا مولاي روق لنفسك كما تحب فروقت شراباً في غاية الحسن والجودة واحضر لي قدحاً جديداً وفاكهة وزهوراً في طسوت فخار جديدة فقال اتأذن لي أن اجلس واشرب وحدي سروراً بك ؟ فقلت له افعل فشربت وشرب فلما احس بالشراب دب فينا قام ودخل خزانة واخرج منها عودا مصفحا ثم قال لي يا سيدي ليس من قدري ان اتهجم عليك وأسألك الغناء ولكن قد وجب على مروءتك حق حرمتي فان رأيت ان تسر عبدك فلك علو الرأي فقلت له ومن اين لك اني احسن الغناء ؟ فقال سبحان الله يا مولاي انت بذلك اشهر من كذا وكذا انت مولاي ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف من المال وعليك من الامان فاما قال لي ذلك عظم في عيني وبانت مروءته عندي فتناولت العود واصلحته وقد مر بخاطري فراق اولادي ووطني وهذا والله لا يحمله كل أسير فقلت :

وعسى الذي اهدى ليوسف أهله ... واعزه في السجن وهو اسير
ان يستجب لنا ويجمع شملنا ... والله رب العالمين قدير

فاستولى على الحجام الطرب المفرط خصوصاً مع الشراب اللذيذ وكان يقال ان ابراهيم اذا قال لغلامه يا غلام شد البغله يحصل لسامعيه طرب بذلك ولما طابت نفس الحجام وتحكم فيه الانبساط قال يا سيدي اتأذن لي أن أغني بما سنح بخاطري وان كنت غير اهل لذلك فقلت ان هذا من زيادة مروءتك علي وكمالك وحسن أدبك فاخذ العود وقال :

شكونا إلى احبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وما زال فرط النوم يغشى عيونهم ... سريعاً ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا مادنا الليل المضر بذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون اذادنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه حتى حسبت ان البيت كان يسير بي من من الطرب وذهب عني كل ما كان عندي من الجزع ثم سألته ان يغني فقال يا سيدي حباً وكرامة وانشد :

تعيرنـا انا قليـــل عديدنَـــــــا	فقلت لهـــا ان الكرام قليـــــل
وما ضرنا انا قليــــل وجارنـــا	عزيز وجـــار الاكثرين ذليـل
وانا لقـــوم لا نرى الموت سبـة	اذا ما رأتــه عامر وسلـــول
يقرب حب الموت آجالنـــا لنا	وتكرهـه اعمارهـــم فتطـول

قال ابراهيم فاشتد علي الطرب ونمت ولم استيقظ الا بعد العشاء فقمت وغسلت وجهي وعادني فكري في نفاسة هذا الحجام وحسن ادبه وظرفـه فايقظتـــه واخرجت كيساً كان معي فيه دنانير فرميتها كلها اليه وقلت له استودعك الله تعالى واسألك ان تتصرف في هذا ولك عندي المزيد اذا انا أمنت من خوفي فاعاد علي الحجام الكيس وقال يا سيدي ان الصعاليك مثلنا لا قدر لهم عندك آخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك عندي ثمناً والله لئن راجعتني في ذلك لاقتلن نفسي فاخذت الكيس وقد اثقلني حمله فلما خرجت من عنده بعد ايام أتسع علي الخيال واخذتني هواجس الخوف وقد جربت انا اتساع خوف من يجني فانه يخيل اليه وهمه وخوفه ان كل احد ينظر اليه وان كل احد يعرفه ويعرف مكانه فلا تستقر نفسه بمكان واحد وان استقرت فيكون اضطراراً ولقد تحولت في نحو ثمان ليال إلى كذا وكذا موضعاً في ظلمات الليل وبي من الاوجاع ما الله به عليم .

قال ابراهيم فجئت لاعبر الجسر اذ ذاك موضع تنزه الناس وفيه يقول ابن الجهم الشاعر

عيون المهابين الرصافـة والجســـر	اسرن فؤادي من حيث ادري ولا ادري

وكان الجسر مرشوشا مزلقا فنظر الي جندي كان يخدمني فعرفني فقال هذا طلبة أمير المؤمنين فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته مع فرسه دفعة مزعجة فرميته وفرسه في ذلك الزلق فصار عبرة فاجتمع الناس عليه فاجتهدت في الاسراع

حتى قطعت الجسر ودخلت شارعاً فوجدت باب دار مفتوحة وبدهليزه امرأة فقلت لها يا سيدة النساء ارحميني واحفظي دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب والسعة والاكرام واطلعتني غرفة وفرشت لي فراشاً وقدمت لي طعاماً وقالت اهدىء روعك فما علم بك أحد ثم ان الباب طرق طرقاً مزعجاً فخرجت وفتحت الباب فلذا هو زوجها الذي دفعته بفرسه على الجسر فقالت له ما دهاك ورأسه يجري دماً على ثيابه وليس معه فرسة فقامت امرأته واسرعت وجاءته بخرق وضمدته وعصبت رأسه بعد ان حشت له جراحه فقالت له ما دهاك ؟ فقال ظفرت اليوم بالفتى وانفلت مني وقص عليها القصة ثم قامت وفرشت له ونام ثم طلعت إلي وقالت لعلك صاحب القضية مع زوجي ؟ فقلت لها نعم فقالت لا بأس عليك وانت في كرامتي ما دام زوجي عليلا .

فأقمت عندها ثلاثة ايام في اعز إكرام ثم قالت لي ان زوجي عوفي واخاف ان يطلع عليك فينم بك فانج بنفسك سالماً فصبرت إلى الليل ولبست زي النساء فخرجت واتيت إلى بيت مولاة لي كانت جارية لي اعتقتها فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كانها تريد السوق لتأتيني بطعام فاذا هي دلت علي واحضرت لي ابراهيم الموصلي بخيله ورجاله وهي معه حتى سلمتني اليه فلما شاهدت الموت عيانا وحملت بالهيئة التي أنا عليها في زي النساء إلى المأمون فجلس مجلسا عاماً وادخلت عليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك .

فقلت على رسلك ان ولي الثأر محكم في القصاص والعفو وانت تعلم ان العفو أقرب للتقوى وقد جعل عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان اخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك كما قيل .

ذنبي اليـــك عظـــيم وانت اعظـــم منـه
فخــذ بحقــك اولا فاصفح بحلمــك عنـه
ان لم أكــن في فعــالي من الكــرام فكنـه

فرفع رأسه الي في صورة غضب فبادرت وقلت :

اذنبـــت ذنبـــاً عظيمـــــاً　　وانت للعفـــــــــو اهـــل
فـان عفـــــوت فمـــــن　　وان ابيـــــــت فعـــدل

قال فرق لي المأمون واستروحت منه روائح الرحمه في شمائله فالتفت إلى العباس واخيه ابي اسحاق ومن حضر من خاصته من بني العباس وغيرهم وقال ما ترون في أمره فكل منهم اشار بالقتل لكن اختلفو في عينه على جار العادة عند اصحاب الملوك الذين ليس فيهم من يقرض الله قرضاً حسناً خصوصاً من يعلم ان الايام مداولة فقال المأمون لاحمد بن خالد ما تقول يا احمد ؟ وكان يقظاً فطناً سريع الادراك لاشارات الخلفاء ومقاصدهم ومنهم أن الغرض لما قصده المأمون من العفو ولكن قصده من يعول على كلامه فقال يا أمير المؤمنين انك ان قتلته وجدت مثلك من قتل مثله وان عفوت عنه لم تجد مثلك من فعل مثله فنكس المأمون رأسه في الارض طويلاً وانشد يقول :

قوم همو قتلوا أمـــــيم اخـــي　　فلئن رميت أصابـــني سهمي

فلما رأيت ذلك رميت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة ضج لها المجلس وقلت عفا الله عن امير المؤمنين فالتفت المأمون إلي وقال لي لا بأس عليك يا عم فقلت يا أمير المؤمنين ذنبي اعظم من ان اتفوه معه بعذر وعفوك اعظم من انطق معه بشكر ثم طفقت اقول : —

ان الذي خلق المكـــــارم حازهـــا　　في صلب ادم للامـــام السابـــع
ملئت قلوب الناس منك مهابـــــة　　وتظل تكلؤ هم بقلب خاشـــع
ما ان عصيتك والغـــــوات تمد لي　　اسبابهـــــا الا بنيــــــة طامـــع
فعفوت عمن لم يكـــن عن مثلـــه　　عفو ولم يشفع اليك بشافـــــع
ورحمت افراخاً كافراخ القطـــا　　وحنين والدة بقلـــب جـازع

فقال يا عم لا تثريب عليك فقد عفوت عنك ورددت عليك جميع ما اخذ منك واذنت لك في ملازمتي متى شئت ثم قال يا عم امت حقدي بحياة عفوي عنك ولم اجرعك مرارة امتنان المتشفين لك ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عم اتدري لماذا سجدت ؟ فقلت شكراً لله الذي أظفرك بعدو دولتك فقال ما اردت هذا ولكن شكراً لله تعالى الذي الهمني العفو عنك وصفاء الخاطر

عليك فحدثني الان بما جرى لك فشرحت له صورة امري وما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته ومولاتي فأمر باحضار الجميع وكانت مولاتي في بيتها تنتظر الجائزة على قبضتي فقال لها المأمون لما حضرت ما حملك على ما فعلت بسيدك ؟ فقالت الرغبة في المال فقال لها المأمون هل لك ولدأ وزوج ؟ قالت لا فامر بضربها مائتي جلده وتخليد حبسها .

ثم قال التفت المأمون إلى الجندي وقال له انت تصلح ان تكون حجاما ووكل به من يلزمه بحانوت الحجام إلى ان يتعلم الحجامة واكرم زوجته وادخلها قصر حرمه وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام ظهر لي من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك وامر ان يسلم له دار الجندي وما فيها وخلع عليه وانعم له برزق كثير وزيادة الف دينار في كل سنة فرحمهم الله اجمعين .

قصة بطل وفي

كان ابو محجن الثقفي محبوساً في اسفل القصر حبسه سعد بن ابي وقاص فسمع ذات يوم انتماء الناس إلى ابائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فحبا حتى صعد إلى سعد يستشفعه ويستقيله ويسأله أن يخلي عنه ليخرج فزجره سعد ورده فانحدر راجعاً فنظر إلى سلمى بنت حفصه زوجة المثنى بن حارثة الشيباني وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصه هل لك في خير ؟ فقالت وما ذاك ؟ قال تخلين عني وتعيرني البلقى ولله علي ان سلمني الله ان أرجع اليك حتى اضع رجلي في القيد فقالت وما انا وذلك فرجع يرسف في قيده وهو يقول :

كفى حزناً ان ترتدي الخيل بالقنا ... واترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد فاغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة ... فقد تركوني واحدا لا اخاليا
فلله عهد لا خيس بعهده ... لئن فرجت ان لا ازور الحوانيا

فقالت سلمى اني استخرت الله ورضيت بعهدك فاطلقته وقالت شأنك وما اردت فاقتاد بلقاء سعد واخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم

دب عليها حتّى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرة مـــن فتاكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بابصارهم وقد تتوزع في البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم قال بل ركبها بسرج ثم غاص في المسلمين فخرج في ميسرتهم وحمل على ميمنة القوم فاوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فاوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص في قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة واوقف القلب حتّى لم يبرز منهم فارس الا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذي لم نره في يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشام من اصحاب هاشم بن عتبه المرقال وقال بعضهم إن كان الخضر عليه السلام يشهد الحرب فهذا هو الخضر قدمن الله به علينا وهو علـــم نصرنا على عدونا وقال قائـل منهم لولا ان الملائكـة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك وابو محجن كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معد يكرب وطلحة بن خويلد والقعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبه المرقال وسائر فتاك العرب وابطالها ينظرون اليه وقد حاروا في امره وجعل سعد يفكر ويقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس ابي محجن لقلت هذا ابو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على اعقابها وتراجع المسلمون إلى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم واقبل ابو محجن حتّى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد البلقاء إلى مربطها وعاد في محبسه ووضع رجله في القيد ورفع عقيرته وهو يقول :

لقد علمت ثقيف غـــير فخـر ... بأنا نحن اكرمهــــم سيوفــاً
واكرمهم دروعـــاً سابغـــات ... واصبرهم اذا كرهـوا الوقوفـا
وليلة قادس لم يشعـــروا بي ... ولم اشعر بمخرجـي الزحوفـا
وأنا وفدهـــم في كـــل يــوم ... فان عتبوا فسل بهـم عريفـا
فان احبـــس فذلكـــم بـــلائي ... وان اترك اذ يفهمـوا الحتوفـا

فقالت له سلمى يا ابا محجن في اي شيء حبسك هذا الرجل ؟ تعني سعدا قال

والله ما حبسي بحرام اكلته وشربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فاصف القهوة وتداخلني اريحية فاتلذذ بمدحي اياها فلذلك حبسني لاني قلت :

اذا مت فادفـني إلى جنب كرمة ... تروى عظامي بعد موتي عروقهـا
ولا تدفني بالفـــــلاة فانـــــني ... اخاف اذا ما مت ان لا اذوقهـا

وهي ابيات :

وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير اوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف القنا فاقامت مغاضبة له عشية اغواث وليلة السواد حتّى اذا اصبحت أتته فترضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع ابي محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فما انا مؤاخذك بشيء تقوله حتّى تفعله قال لا جرم والله لا اجبت لساني إلى صفة قبيح ابداً.

واصبح الناس في اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس واصبحت الاعاجم على مواقفهم واصبح الفريقين كالرجله الحمراء في عرض ما بـين الصفين وقد قتل من المسلمين الفان وخمسمائة ما بين رثيث وميت وقتل مـن الاعاجم ما لا يحصى فقال سعد ايها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم واقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث إلى النساء ويعالجونهم من كلومهم وكان بين موضع الوقعه مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر إلى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فاريحوني تحت ظل هذه النخلة فيراح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقال بجير من طي وهو يجود بنفسه ويقول :

الا يـا اسلمـــي يا نخلة بين قادس ... وبين العذيب لا يجاورك النخـل

وسمع آخر من بني تيم الله وقد اريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول :

ايا نخلة الجرعـا ويا نخلـة العـــدا سقتك الغوادي والغيوث الهواطل

واثخن الاعور بن قطبة فحمل من المعركة فسأل حماله ان يريحه تحتها حتى اذا بلغ اليها قال : —

الا يا نخلة بين العذيـــب وتلعــة سقتك الغوادي الداجنات من النخل

واصبح الناس صبيحة يوم القادسية وهي صبيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد إلى ان جاء وقت الزوال فكان اول من زال حين الظهيرة الهرمزان وانتصر المسلمون ولله الحمد والمنه

عاقبة الظلم

حدثني من اثق به من أهل حريملا : قال : خرج صبي بغنم لوالديه خارج البلد وفي اثناء طريقه ذهبت بعض أغنامه إلى مزرعة احد المزارعين الواقعة في الطريق واخرجها قبل ان تؤثر في المزرعة باي ضرر ولكن صاحب المزرعة انتهر الطفل واوجعه ضرباً حتى كاد يغمي عليه واثر الضرب في جسم الصبي وعاد إلى بيت والدته ورأت ما حدث من اثر الضرب وفي الحال رفعت يديها ودعت على الضارب قائلة اللهم انت نصير الضعيف وليس لي من ارفع اليه شكايتي غيرك اللهم انتقم يا خير من دعاه داع يا شديد الانتقام اللهم ارني في فلان عجائب قدرتك عاجلا غير آجل اللهم اني أسألك يا خير مسئول ان تسمعني فيه ما يحيط به من العقوبة يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تواري منه سماء سماء ولا ارض ارضاً شهد ما فعل ظلماً فمني الدعاء وقد تكفلت بالاجابة اللهم انه ضرب هذا الصبي الضعيف وانت القوي فأرني فيه عقوبتك على مراى ومشهد من الناس عاجلا يا رب العالمين . فما اتم اسبوع الا وقد قدم ضده شخص إدعى عليه بتهمة عمل الفاحشة وقدم للمحكمة وحكم عليه بالضرب أمام الناس بعد صلاة الجمعة أمام مسجد جامع حريملا وضرب ثمانين جلدة وذلك في عام ١٣٧٤ هـ وقد تركت ذكر اسم المرأة والاسرتين تسترا

عليهم لرغبة المرأة في عدم ذكر ذلك فيا ابن آدم اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب .

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا واحذر سهام الدعاء في حندس الظلم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال غيره

فيأخذ منك الله مظلمة الذي ظلمت سريعاً عاجلا لا يؤجل
تفر من الخصم الذي قد ظلمته وانت مخوف موجف القلب موجل
تفر فلا يغني الفرار من القضا وان تتوجل لا يفيد التوجل
فيقتص منك الحق من قد ظلمته بلا رأفة كلا ولا منك يخجل

وقال غيره

اذا ما الظلوم استحسن الظلم مذهبا ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الليالي فانها ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالماً متمرداً يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته اناخت بمعروف الحادثات ببابه
فاصبح لا مال ولا جاه يرتجى ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا وصب عليه الله سوط عذابه

قال النبي (ص) انصر أخاك ظالماً او مظلوماً فقال رجل يا رسول الله انصره اذا كان مظلوماً فكيف أنصره اذا كان ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره ومعناه ان اراد البطش ببريء تأخذ على يده ان كانت يدك اقوى منه وان كان الظلم له بغمط حقوق تمنعه من ذلك فالظلم لا يباح بحال من الاحوال حتى ولو كان على الكفار والمجرمين قال الله تعالى (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل)

قال الشاعر :

اما والله ان الظلم شؤم وما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الـــدين نمـــضي	وعند الله تجتمع الخصـــوم
ستعلم في الحســـاب اذا التقينـا	غدا عند المليك من الملــوم
تنام ولم تنم عنــك المنايـــــا	تنبه للمنيـــة يـــا نـــؤم
لهوت عن الفنــــاء وأنت تغني	وما حي على الدنيـــا يـدوم
تروم الخلــد في دارا لمنــايـا	وكم قـد رام غيرك مـا تروم
سل الايـام عن أمـــم تقضت	ستخبرك المعـــالم والرسـوم

هذه عاقبة اعمال الظلم وقد سمعت وقرأت عن هذا الرجل الذي دعت عليه المرأة انه لم يدر عليه الحول بعد جلده أمام جامع حريملا الا ويقاد للقتل في ساحة العدل بالرياض لتهمة شنيعة ونفذ فيه الحكم حتى الموت نسأل الله العفو والعافية من عضال الداء وشماتة الاعداء.

من وفاء الكلاب

ذكر أحد الزملاء ان لوالده صديقاً بدوياً وكان يزوره في الحضر وكان لا ينقطع عنه الا نادراً فغاب عنه فترة من الزمن ثم عاده ولما عاده واذا به تغيرا في منظره ومظهره رأى شبابه انقلب شيباً ووجهه قد تجعد فقال له ماذا دهاك وقد عهدتك فتى ولم تغب عني الا فترة قصيرة من الزمن فما الذي صيرك إلى هذه الحالة وماذا جرى.

وجم الرجل قليلا ثم تنهد وقال امري عجيب للغاية قلت له اعطني قصتك فقال: كنت ذات يوم أنا وزوجتي والصبية الصغار في احدى الاودية قد ضربنا لنا بها بيتاً فلما صوبت نظري خارج البيت ذات يوم اذا برجل اسود منحدر من اعلا الوادي متوجهاً نحونا ونظره موجه نحو زوجتي فلما رابني منه ذلك اخذت رمحي بيدي وقابلته لاصده ولكنه لم يهتم بذلك ولما صوبت نحوه الرمح اختطفه وكسره وشد يدي إلى ظهري وتركني ملقاً على الارض وقصد المرأة وقضى حاجته منها ثم خرج وتبعته المرأة إلى اسفل الوادي وكان امام الصبية قدر على النار وفيه لحم فدب الصبية اليه لما جاءوا ليأكلوا من اللحم فتساقطوا به فما كان مني اسعافهم حتى ماتوا جميعاً وانا انظر وكان لهم أخ أكبر منهم يرعى

الغنم فلما عاد بالغنم آخر النهار ووجدني على حالتي سألني ماذا جرى يا أبي قلت له فك وثاقي وناولني الرمح واصلح حال اخوتك واذا عدت اخبرتك بالامر فسرت من عنده اتتبع الاثر فلحق بي كلب الغنم فنهرته فانثنى راجعاً وحسبته عاد حقيقة ولما وصلت اسفل الوادي وجدت المرأة والرجل متوسد فخذها ونام ولما رأتني غمزته فانتبه وقابلني فلما هززت الرمح لاقتله عاجلني فاخذه وكسره وطرحني على الارض وجثم علي حتى ظننت بالموت لكنه سرعان ما استرخى جسمه فقلبته على الارض واذا هو قد مات وذلك ان الكلب قد التقم خصوتيه لذلك اخذت باقي الرمح وقتلت المرأة هذه قصتي التي جعلتني كما ترى .

قصة اخرى

كان والد كاتب هذه القصة مزارعاً وكان في زمن حرث الارض لزراعة الحنطة ولديه ثمانية عمال يحرثون الارض ولما جاء وقت تناول الطعام في اول النهار وكان المزارع قد هيأ لعماله ذبيحة وما يتبعها من انواع الاكل وقد جاء بالاكل ولدى العمال بقية بسيطة لم ينتهوا منها وعندما وضع الطعام ذهب عنه وترك كلب للبلد كلها عند الطعام وذهب الرجل وترك الطعام يرصده الكلب لان هذا الكلب معروف بوفائه وامانته ومحافظته على اي شيء يوضع أمامه الا اذا وضع له خاصة وفي مكان خاص وبينما الكلب مقع يحرس الطعام خرجت أفعى وتوصلت إلى الطعام وقذفت فيه من سمها وصارعها الكلب حتى قضى عليها ولما التف العمال لتناول الطعام نبحهم الكلب وحثى على الطعام التراب واراد بعضهم ضربه ولكن المزارع تدخل ومنع العمال من الاكل ومن ضرب الكلب ولما رأى الكلب الامتناع منهم عن الاكل عض ثوب المزارع وقاده إلى مكان الافعى واوقفه عليها فقال المزارع للعمال انظروا ماذا فعل الكلب ولما رأوا الافعى حمدوا الله وعاد المزارع إلى بيته وامر زوجته بتهيئة طعام للعمال آخر فقالت زوجته ماذا فعلت بالطعام الذي ذهبت به هل هو قليل قال لا ولكنه لم يؤكل لانه دفن تحت التراب لانه لحسته افعى فاسرعت المرأة واصلحت الطعام ووضعت فيه بقية لحم الخروف وجاء به المزارع إلى عماله فاخذ احدهم كتفاً من اللحم ووضعه للكلب وهذه القصة حدثني بها والدي الذي اشرت اليه بانه

مزارعاً ويدعى عثمان بن عبد الكريم أبا بطين رحمه الله وصانع الطعام والدتي رحمها الله والحادثة مشهورة في البلد وقد وقعت في مزرعة تعرف بالزعيرية وهي أشهر مزارع بلدة الحصون ولا زالت ملكيتها تحت ايدينا ولهذا الكلب افعالا كثيرة منها انه يحمي البلد من اي قادم اجنبي في الليل ويحافظ على جميع مواشي البلد ويرافق راعي الغنم بعض الايام وقد نام راعي الغنم وترك غنمه بعيداً عن البلد ولما جاء وقت المغرب ولم يعد الغنم ذهب هذا الكلب إلى مكانها في المرعى وساقها إلى البلد ولما لم يكن الراعي مرفقاً لها ذهب بعض رجال البلد يبحثون عن الراعي خشية ان يكون قد اصابه اذا ورافقهم الكلب وقادهم إلى مكانها وبحثوا عن الراعي فوجدوه نائماً في احد المغارات :

ومن افعال هذا الكلب أنه اذا ذهب احد من البلدة إلى بلدة اخرى في الليل رافقه إلى ان يدخل البلد ثم يعود وفي ليلة من الليالي جاءت قافلة من البدو قاصدين البلد فمنعهم من الدخول ولم يكن من بد من دخولها فصوب احدهم سهمه اليه وقتله وقصة هذا الكلب مشهورة وهي واقعة في سنوات واحد واربعين وثلاثمائة والف حتى عام ١٣٤٦ هـ .

قصة كلب فدى بنفسه دون صاحبه

ذكر ابن الجوزي في كتابه (الاذكياء) قال محمد بن ناصر قدم رجل على بعض السلاطين وكان معه عامل ارمينية منصرفاً إلى منزله فمر في طريقه بمقبرة واذا فيها قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن احب ان يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها وسأل أهلها فدلوه على شيخ قد جاوز المائة فسأله فقال كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن كان مشتهراً بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن فقد اشتهيتها فاصلحوها ومضى منتزهه فوجه الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة ونسي ان يغطيها بشيء واشتغل بطبخ اشياء اخر فخرج من بعض شقوق الحيطان افعى فكرع في ذلك اللبن ومج في الثرده من سمه والكلب رابض يرى ذلك كله ولو كان له في الافعى حيلة لدفعها وكان

هناك جارية طفلة خرساء زمنة قد رأت ما صنع الافعى ووافى الملك من الصيّد في آخر النهار فقال يا غلمان ان اول ما تقدمون الي الثر دة فلما وضعت بين يديه أومت الخرساء اليه فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ولج في الصياح فلم يعلم مراده فاخذ ورمى اليه بما كان يرمي في كل يوم فلم يقربه ولج في الصياح فقال للغلمان نحوه عنا فان له قصة ومد يده إلى اللبن فلما رآه الكلب يريد ان يأكل ظفر إلى وسط المائدة وادخل فمه في الغضارة وكرع من اللبن فسقط ميتاً وتناثر لحمه وبقي الملك متعجباً منه ومن فعله فاومأت الخرساء اليهم ففهموا مرادها بما صنع الكلب فقال الملك لندمائه وحاشيته ان من فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة وما يحمله ويدفنه غيري فدفنه وبنى عليه قبة وكتب عليها ما قرأت .

قصة اخرى ذكرها بن الجوزي في الاذكياء

قال ابو عثمان المدائني — كان في جوارنا ببغداد رجل يلعب بالكلاب فاسحر يوما في حاجة ومعه كلب كان يختص من كلابه فرده فلم يرجع فمشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة فصادفوه فقبضوا عليه والكلب يراهم فخرج الكلب وقد لحقته جراحة فجاء إلى بيت صاحبه يعوي وافتقدت ام الرجل ابنها فاثبتت ان الجراح التي بالكلب من فعل من قتل ابنها وأنه قد تلف فأقامت عليه المأتم فطردت الكلاب عن بابها فلزم ذلك الكلب طلب القاتل فاجتاز القاتل وهو رابض فعرفه فنهشه وعلق به فاجتهد المجتازون في تخليصه منه فلم يمكنهم وارتفعت ضجة وجاء حارس الدرب فقال إنه لم يعلق هذا الكلب بالرجل الا وله معه قضية ولعله الذي جرحه وخرجت ام القتيل فرأت الكلب متعلقاً بالرجل وسمعت كلام الحارس فذكرت بان هذا الرجل ممن كان يعادي ابنها فوقع في نفسها أنه قاتله فتعلقت به وادعت عليه القتل وارتفعا إلى صاحب الشرطة فحبسه بعد ان ضرب ولم يقر ولزم الكلب باب الحبس فلما كان بعد ايام أطلق الرجل فلما خرج علق به الكلب ففرق بينهما وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم فكبس الدار فاقبل الكلب بمخالبه موضع القتيل فنبش فوجد الرجل فضرب المتهم فاقر على نفسه وعلى الباقين فقتل وصلبوا .

قال ابن الجوزي وحدثنا محمد بن الحسين بن شداد قال رأيت رجلا له كلب يقربه ويغطيه بديباج كان عليه فسألته عن السبب فقال كان لي رفيق يعاشرني فخرجنا في سفر وكان في وسطي هميان فيه جملة دنانير ومعي متاع كثير فنزلنا في موضع فعمد الي فاوثقني كتافاً ورمى بي في واد واخذ ما كان معي ومضى وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضى فما كان باسرع من ان وافاني ومعه رغيف فطرحه بين يدي فاكلته ولم ازل احبو إلى موضع فيه ماء فشربت منه ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي ثم نمت ففقدته فما كان باسرع ان وافاني ومعه رغيف فاكلته فلما كان اليوم الثالث غاب عني فقلت يمضي ويجيئني بالرغيف فرمى به فلم استتم أكله الا وابني يبكي على رأسي وقال ما تصنع ها هنا وما قصتك ونزل فحل وثاقي واخرجني فقلت له من اين علمت بمكاني ومن دلك علي فقال كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على اسمه فلا يأكله وقد كان معك فانكرنا رجوعه ولست معه وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدوا فانكرنا أمره فاتبعته حتى وقفت عليك فهذا خبري وخبر الكلب. قال كان للحرث بن صعصعه ندماء لا يفارقهم فبعث أحدهم بزوجته وراسلها وكان للحارث كلب رباه فخرج الحرث في بعض منتزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل وجاء إلى زوجته فاقام عندها فلما جامعها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحرث نظر اليهما فعرف القصة وترك من كان يعاشره واتخذ كلبه نديماً فتحدث الناس فانشأ يقول :

فللكلب خير من خليـــل يخونني ◆ وينكح عرسي بعد وقت رحيلي
سأجعل كلبي ما حييت منادمـــي ◆ وامنحه ودي وصفـــو خليـــل

عمر بن عامر ملك اليمن

كانت العمارة في ارض سبأ تبعد أكثر من مسيرة شهرين للراكب المجد وكان أهلها يقتبسون النار من بعضهم ثم مزقوا كل ممزق وكان اول من خرج من اليمن بعد نكبتها عمرو بن عامر ملك اليمن وكان سبب خروجه من اليمن قبل أن يصيبه البلاء هو أن زوجته الكاهنة (طريفة الخير) رأت منا ما أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وبرقت ثم صعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه ففزعت لذلك فزعاً شديداً فأتت الملك وهي تقول ما رأيت كاليوم اطار عني النوم رأيت غيماً أرعد وابرق وزمجر وأصعق فما وقع على شيء الا احرق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها .

ودخل عمرو ذات يوم حديقته ومعه اثنتان من جواريه فبلغ ذلك طريفة فخرجت اليه وخرج معها سنان خادمها فلما برزت من دارها عرض لها ثلاثة مناجد (جرذان) منتصبات على ارجلهن واضعات ايديهن على عيونهن فقعدت طريفة على الارض واضعة يديها على عينيها وقالت للخادم اذا ذهبت هذه المناجد أخبرني فلما ذهبت أخبرها فانطلقت مسرعة تقصد عمروا فعارضها خليج ماء في الحديقة فوثبت من الماء سلحفاة فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيعه وتستعين بذنبها فتحثو التراب على بطنها وتقذف قذفاً فلما رأتها طريفة جلست على الارض حتى عادت السلحفاة إلى الماء فمضت طريفة حتى دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار في يوم شديد الحر ساكن الهواء فاذا الشجر يتكافأ من غير ريح فلما رآها خجل منها وصرف الجاريتين ثم قال لها هلمي يا طريفة فتكهنت له وقالت والنور والظلمات والارض والسموات ان الشجر لهالك وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك قال عمرو من أخبرك بهذا قالت أخبرتني المناجد بسنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد قال ما تقولين قالت أقول قول الندماء لهفا قد رأيت سلحفاً تجرف التراب جرفاً وتقذف بالبول قذفاً فدخلت الحديقة فاذا الشجر من غير ريح يتكافأ قال ما ترين في ذلك ؟ قالت هي داهية دهياء من أمور جسيمة ومصائب عظيمة قال ما هو ؟ ويلك قالت أجل ان فيه الويل ومالك فيه من قبل وان الويل فيما يجيء به السيل فألقى عمرو نفسه عن فراشه وقال ما هو يا طريفة ؟ قالت خطب جليل وحزن

طويل وخلف قليل قال وما علاقة ما تذكرين قالت اذهب إلى السد فاذا رأيت جرذاناً تكثر بيديها الحفر في ذلك وتقلب الصخر برجليها فاعلم ان قد غمر الغمر ووقع الامر

قال وما الذي تذكرين انه يقع ؟ قالت وعد من الله تعالى نزل وباطل بطل ونكال بنا نكل فبغيرك يكون الشكل الموت والهلاك فانطلق عمرو إلى السد فوجد الجرذ يقلب برجليه الصخر فرجع إلى طريفة فاخبرها وهو يقول :

ابصرت امراً عادني منه الهمم — وهاج من هو له برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الاجم — أو كبش صرم من افاريق الغنم
يسحب صخراً من جلاميد العرم — له مخالب وانياب قضم
ما فاته سحلا من الصخر قضم

فقالت طريفة وان علامة ذلك الذي ذكرته لك ان نجلس فنأمر بزجاجة فتوضع بين يديك فان الريح تملؤها من تراب البطحاء من سهلة الوادي ورمله وقد علمت ان الجنان مظللة لا يدخلها شمس ولا ريح فأمر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ولم يكن الا قليلا حتّى امتلأت من التراب فاخبرها بذلك وقال لها متى يكون الخراب الذي يحدث في السد ؟ قالت فيما بيني وبينك سبع سنين قال ففي ايها يكون ؟ قالت لا يعلم بذلك الا الله ولو علم احد لعلمته وأنه لا تأتي علي ليلة فيما بيني وبين سبع سنين الا ظننت هلاكه في غدها او في مسائها .

ثم رأى عمرو في منامه سيل العرم وقيل له ان آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل فنظر اليها فوجدها قد ظهرت في سعف النخل فعلم أنه واقع لا محالة وأن بلاده ستخرب بلا شك فكتم ذلك على الناس وأجمع على بيع كل ما يملك بأرض مأرب وأن يخرج هو وولده ثم خشي ان يفعل فتنكر الناس ذلك عليه فأمر أحد اولاده اذا دعاه لما يدعوه اليه أن يأبى وأن يفعل ذلك في ملاء من الناس واذا لطمه يرفع هو يده فيلطمه .

ثم صنع عمرو طعاماً ودعا اليه أهل مأرب فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي قد مر ذكره فجعل يأمره فيأبى عليه فرفع الأب يده ولطمه فلطمه

ابنه بالمثل فصاح عمرو واذلاه يوم فخر عمرو يهينه صبي ويضرب وجهه وحلف ليقتلنه فلم يزالوا به حتّى تركه وقال والله لا أقيم بموضع صنع هذا بي فيه ولابيعن اموالي حتّى لا يرث بعدي منها شيئاً فقال الناس اغتنموا غضبه فابتاع الناس منه كل ما يملكه في ارض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من سيل العرم فباع الناس من الازد اموالهم فلما اكثروا البيع أنكر الناس عليهم ذلك فأمسكوا عن الشراء فلما اجتمعت لعمرو أثمان أمواله ولم يبق له على الناس دين أخبرهم بخبر السيل وخرج معه من خرج وبقي الباقون فهلكوا .

عفيراء ومرثد بن الكلال

عاد مرثد بن كلال من غزوة غزاها بغنائم كثيرة فوفد عليه ز عماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه فأوسعهم عطاء واشتد سروره بهم فنام فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرته فلما انتبه نسيها ولم يذكرها ولا شيئا منها وثبت في نفسه ارتياعه منها فانقلب سروره حزناً واحتجب عن زواره حتّى أساؤا به الظن .
وحشر الكهان يوما وراح يخلو بهم واحد بعد آخر ويقول له أخبرني عما أريد ان اسألك عنه فيجيبه الكاهن بأنه لا علم عنده حول ما سأل عنه حتّى لم يدع كاهنا عرفه الا دعاه وسأله فتضاعف قلقه وطال ارقه وكانت أمه قد تكهنت فقالت له ابيت اللعن ايها الملك ان الكواهن اهدى إلى ما تسأل عنه لان اتباع الكواهن من الجان الطف واظرف من اتباع الكهان .

فأمر بحشر الكواهن اليه وسألهن كما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهن علماً مما اراد علمه ولما يئس من طلبه سلا عنها ثم انه بعد ذلك ذهب يتصيد فأغل في طلب الصيد وانفرد من أصحابه فرفعت له أبيات من ذرا جبل وكان قد لفحه حر الشمس في هاجـرة النهـار فعدل إلى البيوت وقصد بيتاً منفرداً عنها فبرزت له عجوز من ذلك البيت فقالت له انزل بالرحب والسعة والأمر والدعة فنزل عن جواده ودخل البيت فلما احتجب عن الشمس واستنشق البراد وردت روحه عليه بعد التعب نام فلم يستيقظ حتّى ابرد في آخر النهار فجلس يمسح عينيه فاذا بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جمالا فقالت أبيت اللعن أيها الملك الهمام هل لك في الطعام حاجة ؟ فاشتد اشفاقه وخاف على نفسه لما راى انها عرفته وتصام

عن كلمتها فقالت له لاحذر فداك البشر فجدك الاكبر وحضنا الاوفر ثم قدمت ثريدا وقديدا وحيسا وقامت تذب عنه حتّى انتهى أكله فسقته لبناً صرفا فشرب ما شاء وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فملأت عينه حسناً وقلبه هوى فقال لها ماسمك يا جارية ؟ قالت اسمي عفيراء فقال لها يا عفيراء من الذي دعوتيه بالملك الهمام ؟ قالت مرثد العظيم الشأن حاشر الكواهن والكهان لمعضلة بعد عنها الجان فقال يا عفيراء اتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت أجل ايها الملك انها رؤيا منام ليست بأضغاث احلام قال الملك أصبت يا عفيراء فما تلك الرؤيا ؟ قالت رأيت أعاصير زوابع بعضها لبعض تابع فيها لهيب لامع ولها دخان ساطع يقفوها نهر متدافع وسمعت فيما انت سامع دعاء ذي جرس صادع هلموا إلى الشوارع فقال الملك يا عفيراء أجل هذه رؤياي فما تأويلها قالت الاعاصير الزوابع ملوك تبابع والنهر علم واسع والداعي نبي شافع والجارع ولي تابع والكارع عدو منازع فقال الملك يا عفيراء أسلم هذا النبي أم حرب فقالت أقسم برافع السماء ومنزل الماء من السماء انه لمطل الدماء ومنطق العقائل نطق الاماء فقال الملك الام يدعو يا عفيراء ؟ قالت إلى صلاة وصيام وصلة ارحام وكسر اصنام وتعطيل والام واجتناب آثام فقال الملك يا عفيراء : اذا دعا قومه فمن أعضاده ؟ قالت أعضاده غطاريف يمانون طائرهم به ميمون يقربهم فيفرون فأطرق الملك يوأمر نفسه في خطبتها فقالت ابيت اللعن أيها الملك ان تابعي غيور ولامري جسور والكف بي ثبور فنهض الملك واستوى على صهوة جواده وانطلق فبعث اليها بمائة ناقة كرماء اي ذات سنام عظيم .

كاهنة بني سعد

نذر عبد المطلب بن هاشم أنه ان رزق عشرة اولاد ذكوراً ورآهم رجالا بين يديه نحر أحدهم عند الكعبة شكرا لله فلما استكمل ولده العدد وصاروا في عداد الرجال قال لهم : يا بني كنت قد نذرت نذراً علمتموه قبل اليوم فماذا تقولون ؟ قالوا الامر لك واليك ونحن بين يديك فقال لينطلق كل واحد منكم إلى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا واتوا بالقداح إلى ابيهم فأخذها ثم دعا بالامين الذي يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرك ولا تعجل وكان

أحب ولد عبد المطلب اليه ابنه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم فخرج على عبد الله فأخذ عبد المطلب الشفرة وأتى بعبد الله وأضجعه بين اساف ونائلة وهم بذبحه فوثب اليه ابنه ابو طالب وكان اخا عبد الله لابيه وامه وأمسك بيده عن أخيه فلما سمعت بنو مخزوم بذلك وكانوا اخواله وثبوا إلى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحارث انا لانسلم اليك ابن أختنا للذبح فاذبح ما شئت من ولدك غيره فقال : اني نذرت نذراً وقد خرج القدح ولا بد من ذبحه قالوا كلا لا يكون ذلك ابداً وفينا روح وانا لنفتديه بأموالنا كلها من طارف وتليد ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحارث ان هذا الذي عزمت عليه لعظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تهنأ بالعيش بعده ولكن حتّى نصير معك إلى كاهنة بني سعد فما امرت به من شيء فامتثله فقال عبد المطلب لكم ذلك .

ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام إلى الكاهنة فلما دخلوا عليها اخبرها عبد المطلب الخبر بما عزم عليه من ذبح ولده وكيف وقعت القدح على عبد الله فقالت الكاهنة لهم انصرفوا عني يومكم هذا وائتوني غداً فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا عشرة من الابل فقالت فارجعوا إلى بلدكم ثم قربوا هذا الغلام الذي معكم واقدمتم على ذبحه وقدموا معه عشرا من الابل ثم اضربوا القداح عليه وعلى الابل فان خرج القدح على الابل في فداء ابنه فقربت الابل عشرا عشرا حتّى بلغت مائة من جلة ابل عبد المطلب فنحرت كلها فداء للابن فانصرفوا الي مكة ومعهم عبد المطلب فلما وصلوا إلى مكة أقبل عليهم أهلها وقالوا يا أبا الحارث ان لك في ابراهيم اسوة حسنة فقد علمت ما كان في عزمه على ذبح اسماعيل وانت سيد ولد اسماعيل فقدم مالك دون ولدك فلما اصبح عبد المطلب قرب عبد الله وعشرا من الابل ثم دعا بأمين القداح وجعل لابنه قدحاً وللابل قدحاً وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب القدح على عبد الله والابل فخرج القدح على عبد الله فجعل الابل اربعين وهكذا إلى مائة فخرج القدح على الابل فكبر عبد الله وكبرت قريش معه وقالت يا ابا الحارث انه قد رضي ربك وقد نجا ولدك من الذبح .

فقال لا والله حتّى اضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية فخرج القدح على الابل

فضرب الثالثة فخرج القدح على الابل فعلم عبد المطلب انه قد بلغ رضاء ربه في فداء ابنه فقربت الابل وهي مائة من جلة ابل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله وتركت في مواضعها لا يصد عنها أحد ينتابها ممن دب وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله والد رسول الله (ص)

كهانة سطيح

لما كانت الليلة التي ولد فيها النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك منذ مائة عام وغاضت بحيرة ساوه ورأى الموبذان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في اراضيها .

فلما اصبح كسرى أفزعه ما رأى ولكنه صبر وتشجع ثم رأى أن يطلع عليه وزراء ومرازيته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع رجاله المقربين حوله فلما اخذوا أماكنهم أخبرهم أمره فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النار فازداد غمه فقال الموبذان أصبح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا وقصها عليه فقال له واي شيء هذا يا موبذان ؟ وكان عارفاً في تفسير الرؤياء فقال ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ولكن ارسل إلى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلاً من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى إلى عامله على الحيرة يقول :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الي رجلا عالما بما سأسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الضاني فلما قدم عليه قال له أعندك علم بما أريد أن أسألك قال ليخبرني الملك فان كان عندي منه علم أجبته والا أخبرته بمن يعلمه له فأخبره بما رأى ،في منامه فقال له علم ذلك عند خالي الذي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح فوجده على فراش الموت فسلم فلم يرد عليه وكلمة فلم يجبه وقال أبياتاً من الشعر أفهمه فيها مراده فلما سمعها سطيح وقد أوفى على الضريح رفع رأسه وقال عبد المسيح على حمل مشيح جاء إلى سطيح وقد اوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا المربذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد اقتحمت في المواد

وانتشرت في البلاد ثم قال : يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث صاحب الهراوه وفاض وادي السماوه وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار الفرس فليست الشام لسطيح شاما تملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قبض سطيح ونهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمر فانك ما عمـــرت شمـير ... لا يفز عنك تفـــرق ونفير
أن يمس ملك بني ساسـان افرطهم ... فان ذا الدهر اطوار دهاريـــر
فربما وبما أضحـــو بمنزلـة شـــ ... شهباب صولهم أسـد مهاصـير
منهم أخو الصرح بهرام واخوتهم ... وهرمزان وسابـــور وسابور
والناس أولاد عــلات فمن علموا ... ان قد اقل فمهجور ومحقـور
وهم بنو الاهيم لما ان رأوا نسبـــاً ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصـور
والخير والشر مقرونـان من قـرن ... فالخير متبع والشـــر محـــذور

فلما قدم عبد المسيح إلى كسرى أخبره الخبر فقال : إلى ان يملك منا اربعة عشر ملكاً تكون أمور والزمان يدور فملك منهم عشرون في اربع سنين وملك الباقون إلى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قصة حفر بئر زمزم

قال عبد المطلب بن هاشم اني لنائم في الحجر وهو الحطيم المحيط بالكعبة اذ أتاني آت فقال احفر طيبة قلت وما طيبة ؟ فذهب عني فلما كان في الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضمونه فقلت وما المضمونه ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم انك ان حفرت بها لا تندم فقلت وما زمزم ؟ قال لا تنزف ابداً ولا تزم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل .

قال ابن اسحاق فلما بين له شأنها ودله على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث وليس له وقتها غيره من ولده فحفر بها فلما بدأ

له الطوى كبر فعرفت قريش أنه قد ادرك حاجة فقاموا اليه وقالوا : يا عبد المطلب انها بئر ابينا اسماعيل وان لنا فيها لحقاً فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من دونكم فقالوا له أنصفنا فانا غير تاركيك حتّى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من أحاكمكم اليـه قالوا : كاهنة بني سعد قال رضيت وكانت تسكن الشام فركب عبد المطلب نفر من بني ابيه عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتّى اذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام نفد الماء من اصحاب عبد المطلب فأظماؤا حتّى ايقنوا بالهلاك فطلبوا الماء ممن معهم من قريش فأبوا عليهم خشية على انفسهم من الهلكة فاستشاروا عبد المطلب صحبه في الامر فقالوا ان رأينا لرأيك فمرنا بما شئت قال اني ارى ان يحفر كل منا حفرته لنفسه ما دامت بنا قوة فكلما مات واحد هال عليه صحبه التّراب وقبروه فيها حتّى يكون آخرنا رجل واحد فضيعة رجل واحد خير من ضيعة ركب بأجمعه قالوا نعم ما أمرت فقام كل واحد وحفر حفرته وقعد فيها ينتظر اجله ثم فكر عبد المطلب في هذه الميتة البشعة الحقيرة فقال : والله ان القاءنا بأيدينا هكذا لموته حقيرة وان بقاءنا على هذه الصورة لا نضرب في الارض ولا نبتغي لانفسنا النجاة لعجز ما بعده عجز فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا وتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفيها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر معه صحبه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتّى ملؤا اسقيتهم ثم دعا قبائل قريش ممن نازعوه أمر زمزم فقال لهم هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا وشربوا واستقوا ثم قالوا : والله لقد قضى علينا ربك ان لا ننازعك الامر ولا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الغلاة القاحلة لهو الذي خصك بزمزم دوننا فارجع إلى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة .

بحيرا الراهب يبشر برسول الله (ص)

خرج ابو طالب بن عبد المطلب في ركب تجاري إلى الشام ومعه ابن أخيه محمد بن عبد الله فلما نزل الركب قفر بصري من ارض الشام مروا براهبها بحيرا

وكانوا قد مروا به قبل هذه مرات كثيرة حتى أصبح من معارفهم في ديار الشام ولكنه لم يكلمهم ولم يكلموه طيلة المدة التي تعرفوا فيها عليه فلما نزلوا به في هذه المرة صنع لهم طعاماً كثيراً ودعاهم اليه وطلب ان يحضروا كلهم كباراً وصغاراً أحرارا وعبيداً فسأله أحدهم وقال والله يا بحيرا ان لك لشاءنا اليوم ما كنت تطبخ لنا وقد مررنا بك مرات عديدة فما شأنك لشأنا اليوم قال له بحيرا صدقت قد كنت افعل ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا اليه وتخلف محمد بن عبد الله من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت شجرة فنظر اليهم بحيرا ولم ير الصفة التي وردت عنده في التوراة عن نبي حان حينه فقال يا معشر قريش لا يتخلف منكم احد عن طعامي فقالو له يا بحيرا ما تخلف عنك احد ينبغي له ان يتخلف الا غلام احدث القوم سنا فقال ادعوه واليحضر هذا الطعام معكم دعوه فجاء فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً وينظر إلى اشياء من جسده وكان يجدها عنده في كتبه حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام بحيرا اليه وقد قال له يا غلام أسألك باللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسألك عنه لأنه سمع قومه يحلفون بها فقال رسول الله (ص) لا تسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ما ابغضت شيئاً بغضها فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته واموره فجعل رسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عنده من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

فلما فرغ اقبل إلى عمه ابي طالب وقال له ما هذا الغلام ؟ قال ابني قال بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا ان يكون ابوه حياً قال : فأنه ابن أخي قال فما فعل أبوه : ؟ قال مات قبل مولده قال صدقت فارجع به إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوه كما عرفته لقتلنه فان لابن اخيك هذا لشأنا عظيماً فأسرع به إلى بلدك فخرج به ابو طالب مسرعاً حتى قدم مكة واخبر قومه بما قال بحيرا

وجعلنا ختامه بعثة النبي (ص)

قال العباس بن عبد المطلب خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب منهم ابو سفيان بن حرب فقدمنا اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً ويصنع ابو سفيان يوماً آخر فقال لي ابو سفيان في يومي الذي اصنع فيه هل لك يا أبا الفضل ان تتناول الغذاء في بيتي فأجبته فلما تغذا القوم قاموا وانصرفوا واحتبسني فقال لي : هل علمت يا ابا الفضل ان ابن أخيك يزعم انه رسول الله قلت اي بني أخي ؟ قال ابو سفيان اياي تكتم ؟ قال : محمد بن عبد الله قلت ما فعل قال بلى قد فعل ثم اخرج الي كتاباً من ابنه حنظلة بن ابي سفيان أن محمداً قام بالابطح غدوة فقال أنا رسول الله أدعوكم إلى الله .

قلت يا ابي حنظلة : لعله صادق قال : مهلا يا ابى الفضل فوالله ما احب ان تقول مثل هذا واني لاخشى ان تكون له بصر من هذا الامر ثم قال يا ابني عبد المطلب انه والله ما برحت قريش تزعم ان لكم يمنة وشؤمة كل واحدة منهما عامة فنشدتك الله يا ابا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم قال فهذه والله شؤمتكم قلت فلعلها يمننا .

فما كان بعد ذلك الا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن فنشأ ذلك في مجالس اهل اليمن يتحدث به فيها وكان ابو سفيان يجلس إلى حبر من أحبار أهل اليمن فقال له اليهودي ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال هو ما سمعت قال اين منكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال ابو سفيان صدقوا وانا عمه قال اليهودي أخو ابيه ؟ قال نعم قال ؟ حدثني عنه قال لا تسألني فما كنت احسب أن يدعي هذا الامر ابداً وما احب ان اعيبه وغيره خير منه قال اليهودي : فليس به أذى ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه قال العباس فتأدى إلى الحبر فخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غد وفيه ابو سفيان والحبر فقلت للحبر بلغني انك سألت ابن عمي هذا عن رجل منا يزعم أنه رسول الله فأخبرك انه عمه وليس بعمه ولكنه ابن عمه وانا عمه أخو ابيه فقال أأخو ابيه ؟ قلت أخو أبيه .

فأقبل على ابي سفيان فقال اصدق قال نعم صدق قال فقلت سلني عنه فان

كذبت معه فليرد علي فقال انشدك الله هل خشيت لابن أخيك صبوة او سفه ؟ قلت لا وانه عبد المطلب ولا كذب ولا خان وكان اسمه عند قريش الامين قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس فظننت انه خير له ان يكتب بيده فاردت ان اقولها ثم ذكرت مكان ابي سفيان وانه مكذبي وراد علي فقلت لا يكتب فذهب الحبر وترك رداءه وجعل يصيح ذبحت يهود قتلت يهود قال العباس فلما رجعنا إلى منزلنا قال ابا سفيان يا ابا الفضل ان اليهودي يفزع من ابن أخيك قلت قد رأيت فهل لك يا ابا سفيان ان نؤمن به فان كان حقاً ، كنت قد سبقت اليه وان كان باطلا فمعك غيرك من اكفائك ؟ قال لا والله ما اؤمن به حتى ارى الخيل تطلع من كداء (جبل بمكة) فقلت ما تقول ؟ قال كلمة والله جاءت على فمي ما القيت لها بالا الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع من كداء .

قال العباس : فلما فتح رسول الله (ص) مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا ابا سفيان اتذكر الكلمة ؟ قال والله اني لذاكر الكلمة ؟ قال لي : والله اني لذاكرها الحمد لله الذي هدانا للاسلام .

عند النجاشي

قال عمرو بن العاص : لما انصرف منا مع الاحزاب عن الخندق وجمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله ان محمدا يعلو الامور علوا منكراً واني لقد رأيت امراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال رأيت ؟ ان نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي وإن ظهر قومنا فنحن معروفون عندهم. فلن يأتينا منهم الا خير قالوا : ان هذا لرأي قلت فاجمعوا لنا ما نهديه له من ارضنا فجمعنا له ادما كثيرة ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاء عمرو ابن أمية الضمري وكان رسول الله(ص) قد بعثه اليه في شأن جعفر بن ابي طالب وصحبه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لاصحابي هذا عمرو بن امية الضمري اوفد ودخلت على النجاشي فسألته عنه ليعطينيه فأضرب عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد اجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت على النجاشي وسجدت له كما كنت اصنع فقال مرحبا بصديقي أأهديت الي من

بلادك شيئاً ؟ قلت نعم ايها الملك اني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول عدونا فأعطنيه لاقتله فانه قد اصاب من اشرافنا وخيارنا وانتقصنا في ديننا قال فغضب النجاشي ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو شقت لي الارض لدخلت فيها فرقاً منه ثم قلت له ايها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتك قال أتسألني ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى لتقتله قلت أيها الملك أكذاب هو ؟ قال ويحك يا عمرو اطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبا يعني له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت على اصحابي اسلامي ثم خرجت عامدا إلى رسول الله (ص)فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين يا ابا سليمان ؟ قال والله لقد استقام الميم وان الرجل لنبي اذهب والله فأسلم ؟ والله ما جئت الا لأسلم .

فقدمنا المدينة على رسول الله (ص)فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت : يا رسول الله اني أبايعك على أن يغفر الله ما تقدم من ذنبي ولا اذكر ما تأخر فقال رسول الله (ص)يا عمرو بايع فأن الاسلام يجب ما قبله وان الهجرة تجب ما كان فبايعته ثم انصرف .

الرسول محمد في سوق عكاظ

روى عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه أنهم قالوا أتانا رسول الله (ص) ونحن بسوق عكاظ فقال ممن القوم ؟ قلنا : من بني عامر بن صعصعه قال : من اي بني عامر ؟ قلنا : بنو كعب بن ربيعة قال اني رسول الله فكيف التسعة فيكم : قلنا لا يرام ما قبلنا ولا يصطلا بنارنا فقال أفان أتيتكم تمنعوني حتى ابلغ رسالة ربي ولم أكره أحداً منكم على شيء ؟ قلنا : ومن اي قريش انت ؟ قال : من بني عبد المطلب قالوا فاين انت من بني عبد مناف ؟ قال هم اول من كذبني وطردني قالوا ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك ولا نمنعك ان تبلغ رسالة ربك .

فنزل اليهم والقوم يتسوقون اذ أتاهم بحيرة بن قيس القشري فقال من هذا الذي اراه عندكم قالوا هذا محمد بن عبد الله القرشي قال وما لكم وله ؟ قالوا زعم انه رسول الله ويطلب الينا ان نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه قال فبماذا رددتم عليه ؟ قلنا على الرحب والسعة نخرجك إلى بلادنا ونمنعك بما نمنع به انفسنا قال بحيرة : ما اعلم أحداً من أهل هذا السوق يرجع بشيء أشر مما ترجعون به فسوف تنبذكم الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة قومه اعلم به لو أنسو منه خيراً لكانوا أسعد الناس به اتعمدون إلى متهم طرده أهله وكذبوه فتؤمنونه فبئس الرأي ما رأيتم ثم أقبل رسول الله فقال له بحيرة قم الحق بقومك فوالله لولا انك عند قومي لضربت عنقك فقام رسول الله (ص) إلى ناقته فركبها فغمزها بحيرة فقمصت برسول الله فالقته وكان مع بني عامر عندئذ ضياعه بنت عامر بن فرط وكانت مع النسوة اللاتي أسلمن بمكة وقد جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت يا آل عامر ايصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه احد منكم فقام ثلاثة من بني عمها إلى بحيرة وثلاثة اعانوه فأخذ كل رجل بواحد منهم فجلد به الارض ثم جلس على صدره فقال رسول الله (ص) اللهم بارك على هؤلاء ولا تبارك اولئك . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم كان قد ادركه السن حتى لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما كان في ذلك الموسم فلما قدموا عليه سألهم عمن كان في الموسم فقالوا جاءنا فتي من قريش ثم حدث انه أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا إلى ان نتبعه ونقوم معه ونخرج به معنا إلى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف ؟ فوالله ما تقولها اسماعيل قط الا انها الحق فأين رأيكم ؟

ابو سفيان بن حرب عند هرقل

قال ابو سفيان كنا تجاراً وكانت الحرب قائمة بيننا وبين رسول الله (ص) فحصرتنا حتى نهكت اموالنا فلما كانت الهدنه ـ هدنة الحديبية خرجت في نفر من قريش إلى الشام واتجهنا نحو غزة فقدمناها حتى ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس فاخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الاعظم وكانوا قد استلموه من قبل فخرج من حمص وقصد القدس ليصلي فيها شكرا لله ماشيا على قدميه .

فلمــا انهى صلاته ومكث في ايليــاء ثلاث ليال سويا ناعما مستبشراً بين بطارقته واشراف قومه أصبح ذات يوم مهموماً يقلب طرفه في السماء فقال له بطارقته والله لكأنك أصبحت الغداة مهموما فقال أجل رأيت البارحة ان ملك الختان ظاهر ، فقالوا : ايها الملك ما نعلم أمة تختتن غير اليهود وهم تحت يدك فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليحضر واضرب أعناق اليهود واسترح من هذا الهم فوالله انهم لفي ذلك من رأيهم يديرونه اذا أتاه رسول بصري برجل من العرب يقوده فقال ايها الملك ان هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدث عن أمر حدث فاسأله .

فلما أخبره الخبر قال : جردوه فاذا هو مختون فقــال هذا والله النبي الذي رأيت لا ما تقولون أعطوه ثيابه ثم دعى صاحب شرطته فقال له اقلب الشام ظهرا لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل . فانا جالس اذ اتى صاحب شرطة هرقل فقال انتم في قوم الحجاز ؟ قلنا نعم قال انطلقوا إلى الملك فانطلقنا معه فلما انتهينا اليه قال أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز قلنا : نعم قال فأيكم أمس به رحماً ؟ قال ابو سفيان قلت انا قال ادن ثم اقعدني بين يديه واقعــد اصحابي خلفي وقال لهم اني سائلة فان كذب فردوا عليه قال فوالله لقد علمت ان لو كذبت ما ردوا علي ولكن كنت امرأ سيدا اتبرم عن الكذب وعرفت ان ايسر ما في ذلك ان انا كذبته ان يحفظوه علي ثم يحدثون به عني فلم اكذبه . قال أخبرني عن هذا الرجل الذي ظهر بينكم يدعي ما يدعي فجعلت ازهد له شأنه واصغر له اموره وأقول له ايها الملك ما يهمك من شأنه ان أمره دون ما بلغك فجعل لا يلتفت الي وقال انبئني فيما أسألك عنه قلت سل عما بداك .

قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو اوسطنا نسباً قال أخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به ؟ قلت لا قال هل كان له فيكــم ملك فسلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت لا قال أخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت الضعفاء والمساكين والاحداث من الغلمان والنساء فأما ذوو الاسنان من أشراف قومه فلم يتبعه منهم أحد قال فأخبرني عمن يتبعه أيحبه ام يقليه ويفارقه ؟ قلت قلما يتبعه أحد فيفارقه قال فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قلت سجال يدال علينا وندال عليه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟

فلم أجد شيئاً أغمزه فيه غيرها وقلت لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره قال فوالله ما التفت اليها مني ثم كرر الحديث فقال سألتك عن نسبه فيكم فزعمت انه محض من أوسطكم نسباً فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه من غير ذلك وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يتشبه به فزعمت ان لا وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه فزعمت ان لا وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والاحداث والمساكين والنساء وكذلك اتباع الانبياء في كل زمان وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه ام يقليه ويفارقه فزعمت أنه لا يتبعه احد فيفارقه فكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه

وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فزعمت انها سجال تداالون عليه ويدال عليكم وكذلك حرب الانبياء ولهم تكون العاقبة وسألتني هل يغدر ؟ فزعمت ان لا فلئن كنت صدقتني عنه فليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل قدميه انطلق لشأنك .

فقمت من عنده وانا أضرب يدي على الاخرى واقول يا لعباد الله لقد أمر ابن ابي كبشة فأصبح ملوك بني الاصفر يهابونه في ملكهم وسلطانهم .



الطبعة الثانية ١٩٨١ – ١٩٨٢